روايات عبير

www.elromancia.com
مرمورية

الراقصة والأرستقراطي

سوزان بيكر

٣٤٧

روايات عبير

N 347

وكان الشك مثيراً للأعصاب

قبلت "كات" بفرحة دعوة صديقها "تود" بأن تقضي عطلة نهاية الأسبوع في منزل العائلة... والتي في أثنائها ستعلن خطبة عمه "دانيال" وبالتدريج بدأ يتضح لها أنها كانت بيدقا في لعبة، زادت تعقيداً بما إشتعل بينها وبين "دانيال بيشوب".

كانت عيناه خطيرتين، فيهما تهديد - ولكن بماذا ؟

لم تكن متأكدة. فتحت الواجهة الباردة المثقفة، كان يكمن قرصان عديم الرحمة.

www.liilas.com

ثمن النسخة

لبنان ٢٥٠٠ ل.	قطر ٨ ريال	Canada 6 $
سوريا ٧٥ ل.	مسقط ٧٥٠ بيسة	U.K. 2 £
الأردن ١ دينار	مصر ٤ جنيه	U.S.A. 4 $
السعودية ٨ ريال	المغرب ٢٠ درهم	Greece 1500 drs
الكويت ٧٥٠ فلس	ليبيا ١ دينار	Cyprus 2 £
الإمارات ٨ دراهم	تونس ٢,٥ دينار	France 20 Fr.
البحرين ٧٥٠ فلس	اليمن ٢٥٠ ريال	

العنوان الأصلي لهذه الرواية
PRODIGAL SISTER

تأليف
Susan BAKER

No. 111- 0278

الراقصة والأرستقراطي

(٣٤٧)

ترجمة
توفيق يوسف راشد

الناشر
المركز الدولي للطباعة والنشر والتوزيع ش. م. م.
مكتب لبنان
ص . ب ٣٧٤ جونيه - لبنان
تليفون: ٩١٣٥٨٠ (٠٩) - ٩٣٦١٤٩ (٠٩)

جميع الحقوق محفوظة للناشر

يمنع منعاً باتاً نقل أي قسم أو جزء من هذا الكتاب وبأية وسيلة ..
إلا بعد الحصول على موافقة خطّية من الناشر .

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

www.elromancia.com

مقدمة

الحياة الأرستقراطية لها تقاليدها ، ومفاهيمها ، وهي في مجملها تتجه للتحفظ والرسمية ، واهم من هذا كله ، التستر وراء الاقنعة الزائفة التي تابى على فرد منها ان يكون صريحا مع نفسه ، ومع بقية افراد طبقته .

وتدور أحداث هذه القصة في ربوع أسرة من هذه الطبقة ، تسللت إلى داخلها فتاة اقتحمت عليها هذا الستار الهش الزائف ببساطتها وصراحتها وحبها للحياة . فقلبت بشجاعتها نظامها الأرستقراطي راسا على عقب .

ولكن ، كيف أمكن لفتاة شعبية بسيطة أن تتسلل إلى تلك الطبقة المتعالية ؟ كان ذلك بمؤامرة طريفة لبعض المتمردين من افراد تلك الطبقة كنوع من السخرية على النظام الأرستقراطي والثورة عليه ، ولكنها ثورة من نوع فريد متميز .

وابتسم ، وعيناه ترقبان تصلبها القلق

ادركت "كات" التوتر المفاجئ في الحجرة لما حدث . غير مرحب به ، وغير متوقع ، ولا يمكن إنكاره .

"اوه ، كلا " ولولت بداخلها : " ليس "دانيال بيشوب" . ليس هذا الثري الفاسق ، الذي يحتقرها بقدر ما يجب هي أن تحتقره . الرجل الذي لا يملك ذرة من العطف بين جوانحه - لا يمكن ان تنجذب إليه ! بكل تاكيد ، إنها لم تنقذ نفسها من اجله !

وغمغم " اية مفاجاة اليمة اعددتها لي ، ولماذا ؟ إنني مصر على ان اعرف ، يا " كاثلين " .

ووجدت " كاثلين " نفسها تتراجع :

- " لا ترهبني ، يا "دانيال" ... "

- " بل سافعل ، بحق السماء . سافعل ما هو اكثر من الإرهاب . لقد حصلت على متعتك الليلة ، والآن ، جاء دوري .. "

الفصل الأول

صاحت "اديليد بيشوب" بصوت يرتجف غضبا :

- " راقصة ستربتيز" يا "دانيال" ! إنها راقصة ستربتيز! "

- " ممثلة يا امي ، وليست راقصة ستربتيز" صحح لها ابنها قولها بهدوء وهو شارد الذهن ، موزعا انتباهه بين طبق البيض والقسم المالي من جريدة الصباح المطوية بعناية بجوار طبقه .

وأثار اعصاب "اديليد" عدم رد فعله لهذا الخبر المفزع الذي أدلى به المشارك لهما الفطور ، والغائب وقتها ، فردت ثائرة :

- " ممثلة تقوم بادوار " الإستربتيز" لا يمثل هذا فرقا لدي .. فكونها تتجرد من ثيابها امام الجمهور لا يمكن ان تسمي ذلك تمثيلا . ولا عجب ان ينتهي بها المطاف إلى مسرح حقير . فلا يمكن لمدير مسرح محترم أن يقبل مثل هذه الحثالة . "

وازداد وجهها المتعالي النحيف ، والذي لا تدل نعومة بشرته على سيدة تجاوزت الستين ، تجهما حين لم يوافقها ابنها على الفور . وصاحت به :

www.elromancia.com

- "دانيال" أتسمعني ؟ "

- بالتاكيد اسمعك يا اماه " ورماها بابتسامة من تعود الصبر وزادت ابتسامته الخالية من اي تعبير من وسامة وجهه المتناسق الذي تتميز ملامحه بتلك النظرة الغامضة من عينيه الزرقاوين المشرقتين تحف بحاجبين داكنين ، وشعر منسدل على صدغيه اختلط بياضه بسواده ، معطيا منظرا شيطانيا يحذر من يميل إلى الثقة به انه ليس دائما في الجانب الملائكي .

- " ولكنك لا تبدو مهتما . اتريد ان ترى ابن أخيك يتزوج من امراة تنزع ملابسها من اجل المال ؟ "

وكاد ان يذكر متهكما اليس الزواج ما هو إلا شراء مزايا امراة لقاء مكسب مادي خاصة في محيط أسرته ؟ ولكنه اثر السلامة واكتفى بالقول :

-"بالتاكيد لا. ولكني أراك سابقة للحوادث في قلقك من ناحية الفتاة".

- " سابقة للحوادث ؟ لقد طلب يدها يا "دانيال" حتى قبل ان يقدمها لنا ثم إنها ليست فتاة ولكنها امراة ، تكبر "تود" بثلاثة اعوام ، وربما عشرات من الخبرة . وبالتاكيد كان التكتم في علاقتهما فكرتها هي فـ "تود" ليس بهذا الخبث ابداً .. لقد هام بها حتى صار العوبة في يدها! ثم لماذا يفجر هذا الآن؟ لماذا يدعوها إلى عطلة نهاية هذا الأسبوع بالذات ؟ انا اقول لك يا"دانيال" . إنها محاولة مكشوفة لابتزازنا . فمجرد ظهورها في حفلة خطبتك كضيفة على الأسرة يجعل القوم يعتقدون انها قد قبلت اجتماعيا . إن ضيوفا على اعلى درجة من الأهمية والتاثير سيحضرون مساء غد ، فماذا اقول لهم عنها ؟ هذه هي " كات" ، راقصة الـ " ستربتيز" ، خطيبة حفيدي ؟ اتتصور مدى المهانة ؟

ويعلم الله كم ستخوض الصحافة في الأمر وكم من بذاءات ستنبشها عنها . لقد سمعت ما قال . إنه لا يعرف اصلها ، ولا يهمه ذلك ! حتى اسمها ينبئ عن عدم الأصالة ويتصور "تود" انني سوف ارحب بامراة سوقية لتشاركنا منزلنا!"

وقال "دانيال" بجفاء وهو ينظر بإمعان إلى ساعته الذهبية المعلقة

بصديرية حلته ذات طراز الزي البحري ، وذهنه مشغول تماما بخطة يومه :

- " انا متاكد انه يدرك ذلك . لقد ذهب ليخبر "شارون" ، اليس كذلك ؟ ربما خيبة امل من والدته يكون لها اعتبار لديه اكبر من اي قول " .

واشاحت "اديليد" بيدها المجعدة لذكر اسم زوجة ابنها :

- " اوه ، "شارون" .. إنها لا تاثير لها على ابنها إطلاقا . فطوال عمرها وهي رقيقة معه ضد مصلحته . بل لعلها تقول إنها متشوقة للقاء تلك الفاجرة ولكنها بالتاكيد ستساندنا في اي تصرف نقوم به ".

بالتاكيد . لابد من امراة ، او رجل ، على قدر من الشجاعة ليعارض صراحة رغبات او اعتراضات "اديليد" ، ولذا فلا يتصور "دانيال" ان "تود" جاد في الزواج من فتاة مرفوضة تماما من اسرته لقد ورث بعضا من رقة والدته وعقلية والده المالية ، وهو يميل للتعايش اكثر من المواجهة . ولاعجب ان تلقي "اديليد" باللوم على الفتاة لهذا الموقف ، رغم انه ليس من المؤكد انها قد خططت لاصطياد زوج ثري . وطوى صحيفته وهب واقفا :

- " حسنا ، لا شك لدي في سلامة ما تقررين لمعالجة الموقف يا امي ، فهذا شانك دائماً . وانحنى ليقبل الجبهة الناصعة تحت الشعر الفضي المصفف ببراعة ، واثقا من انه يترك الأمور العائلية بين يدين ماهرتين في التخطيط . فليست هي اول مرة تواجه فيها "اديليد" التهديد من تشقق وحدة العائلة من طبقة ادنى خارجها .

- " بالمناسبة ، إن لدي موعدا في وقت متاخر من عصر اليوم " ثم التقط حقيبة مستنداته من على الكرسي المجاور ، واتجه لباب غرفة الفطور المفتوح ، والذي تتسرب منه اشعة شمس الصباح فتدفئ الغرفة الصغيرة " ولذا فلا تتوقعي حضوري قبل الساعة السابعة والنصف " .

- " ولكنك ستكون هنا على العشاء يا "دانيال" . اريد ان تتاكد هذه المراة انه ما من سبيل لها لابتزازنا حتى نقبلها في عائلة "بيشوب" .

ودلف "دانيال" للكرسي الخلفي للمرسيدس ، بعد ان هز راسه مبتسما لماسك الباب له وهو يشعر بإشفاق على تلك الممثلة ، ذات نزعة

التسلق الاجتماعي . وسواء كانت فاجرة خبيثة مليئة بالطموح ، او محبة حقيقية تبغي الاقتران بفتى احلامها ، فهي ليست ندا لـ" اديليد" فاسلحة الاصطياد في الشوارع تختلف عن المستخدمة في مجتمع مهذب . و "اديليد بيشوب" خصم صعب المراس يخشاها حتى الاثرياء والواثقين من انفسهم من بني طبقتها .

وتنهد وهو يقلب الأوراق التي نثرها على ركبتيه . فالعشاء سيكون مملا ، ولكنه كراس العائلة لا يمكنه ان يتهرب من مسؤولياته . إن عليه ان يظهر الإرهاب القاسي والمتمدين المتميز به . فعشر سنوات من التنقل في داخل المؤسسات المالية لـ " نيوزيلند" قد شحذت موهبة "دانيال " في إخفاء قسوته تحت ستار من الوسامة تخدع خصمه إلى لحظة الوقوع في الشرك . وبفضل طموحه ومهارته في لعبة القوي . اصبح بنك (ركس - بيشوب) البنك التجاري الرائد في البلاد ، وازدادت ثروة آل " بيشوب" زيادة لم تشهدها من قبل . ولو حدث وقبلت صديقة ابن اخيه الخروج من حياته فسوف يكون لقاء المال ، وعلى اسوأ الفروض ، سيكون الثمن باهظا ، وعلى احسنها ، ستكون مجرد فتاة سانجة مغامرة ، وعلى كلا الفرضين ، فالأمر لا يشغل باله .

زامت "كاثلين" وهي تتمطى بجسدها بعد الترجل من السيارة الفارهة ، ثم تنحني مستندة إلى مقدمها لتشبع نظرها من المنزل الماثل امامها . بل هو للقصر اقرب . وانفرج فمها عن ابتسامة ترقب . ثلاثة طوابق من طراز استعماري رائع محاط بمرج اخضر مترامي الأرجاء ويحجبه عن المارة والجيران المتماثلين في الثراء سياج الأشجار الباسقة والشجيرات المتشابكة . وقد تناثر الحصى الأحمر الذي بعثرته السيارة الفارهة في سيرها على الممر المؤدي لسلم مرمري عريض يؤدي بدوره إلى باب خشبي ضخم اجزاؤه المعدنية من النحاس الأحمر . وصفوف النوافذ الثلاثة ، ذات المصاريع الزرقاء تمتد على كلا الجانبين ، تدل على ان داخل المنزل لا يقل عن خارجه اتساقا . كان مظهر المنزل يوحي بصفاء اخاذ جعل " كاثلين" تتساءل إن كان قاطنوه يماثلونه في الصفاء .

واقترب منها "تود بيشوب" ، حاملا حقيبتها الخفيفة ، القديمة إلى

حد ما ، وعلى يده الأخرى جاكيت جلد ذات القطع الثلاثة وسالها :

- " هل اعجبك؟ " فمالت برأسها متفكهة وقالت :

- " ليس في مستوى الثامن والثلاثين من شارع "ستانتون" ، ولكن لا باس به لعطلة الأسبوع " .

ضحك "تود" . كان مسكنها الذي تشترك فيه مع اربعة من اصحابها خشبيا ، وباللون الأبيض ، وإلى هنا ينتهي تشابهه مع منزله . فصاحب المنزل الذي يمتلك عدة منازل في نفس الشارع ضنين باي مبلغ للعناية بمنازله ، إذ يامل في يوم ان يبيعها انقاضا بمبلغ كبير ، ومع ذلك ، فالصداقة التي تجمع قاطني المنزل رقم ثمانية وثلاثين ، هي اروع ما صادفت "كاثلين" طوال الثلاثة والعشرين عاما ، هي كل عمرها .

وقالت حين لم يسبقها للمنزل :

- " هل ندخل الآن ؟ ام ستضرب لي خيمة في المرج ، وتشوه تناسق البيت ؟" وغارت ابتسامته وبدا عليه شيء من الضيق ، واخفت هي ابتسامتها . لو كان نادما على دعوتها ، فهذا شانه ، فهي لن تعود ادراجها . فهي تمني نفسها منذ اسبوعين بالرفاهية التي ستلقاها في تلك العطلة ، اول اطلاع لها على حياة الجانب الآخر .

- إ ... "كات" . هناك امر ... "

- " هناك من يراقبنا " .

- " ماذا ؟ " وقفزمستديرا ، ثم ارخى كتفيه العريضتين حين راى الرجل الذي فتح الباب على السلم .

- "آه ، إنه "سيث" "

- " كبير الخدم ؟ لا يبدو كذلك " . واتجهت بخطوات رشيقة متجهة للرجل المرتدي حلة تقليدية ، يرقبهما بعينين قلقتين ، يشع منهما الذكاء .

واسرع "تود" ليلحق بها :

- " حسنا ، إنه اسمى من ذلك . ولكن انتظري دقيقة يا "كاتي" . اريد ان اقول لك شيئا " .

وتوقفت مبتسمة له ، ومدركة سبب توتره :

- " اطمئن يا "تود" فلن أشينك ، أنت تعلم أنه بإمكاني التعامل مع المجتمعات المهذبة " . فهي لم يفتها أنه على مدى الشهرين من علاقتهما ، كان حريصا على ألا يظهرا في مكان يراهما فيه أحد من عائلته أو أصدقائه . ولم تستاء لذلك ، بل وجدته أمراً مسليا ، مدركة أن تصرفه كان بدافع الحماية لها، وليس التعالي عليها . وأدرك خلال هذه المدة مدى قوة شخصيتها وأنه يمكنها التعامل مع أية صحبة ، مهما كان رقيها .

بل إن ما كانا عليه من اختلاف هو ما شد "تود" إليها أساسا . كانت تختلف عن الطراز التقليدي للعنصر النسائي المحيط به من طبقته الاجتماعية . كان قد تخرج منذ عام بتفوق في دراسة الاقتصاد ، ويشق طريقه بثبات في البنك الذي تمتلكه أسرته . وقد أعجبت به كشاب يعرف طريقه جيدا . وكانت دعوته لها تلطفا منه ، بقدر ما فيها من إثارة للحيرة . فهو شاب متحفظ ، رغم ما هو عليه من لطف ، وفتاة مثلها ستكون عقبة في طريق مستقبله ، كما أنه ليس من الشباب ذوي النزوات ، رغم تمتعه بمباهج الشباب .

ولكنها من جهة أخرى لم تدهش بإصراره على علاقته بها ، فهي محط إعجاب الرجال منذ أن تفجرت أنوثتها وهي في الرابعة عشرة من عمرها . ولم يكن اسمها مشتقا فقط من لون بشرتها الأسمر الضارب للصفرة ، أوشعرها الأحمر العسجدي ولكن من رقتها وميلها لأخذ الحياة بسهولة تجعلها أشبه بالقطط الأنيقة ، ولكن مع ما للقطط من استقلالية تحيط بها رغبات الكثير من مطارديها ، الذين يظنون أن جسدها المتفجر بالأنوثة ، وروحها الميالة للدعة ، يعنيان امرأة تفتح ذراعيها لكل راغب .

وأسرع "تود" بالقول وهما يستأنفان ارتقاء الدرج :

- بالتأكيد يا "كات" ولكنك .. "

- " وإذا ما واجهني موقف أفحمني ، ألجأ فوراً إلى التمثيل ، أليس كذلك ؟ " ورمته بابتسامة ساخرة فجرت فيه ابتسامة باهتة فـ " كات" ممثلة تجيد تقليد الآخرين من الطراز الأول . تراقب شخصا لمدة عشر دقائق ، ثم ترتدي جلده على الفور ، وكم أخرجت نفسها من مواقف

محرجة بتحويلها إلى مشهد فكاهي بتقليد أحد الحاضرين أو شخصية من ذاكرتها . وكان هذا جزءاً من الاستقلالية الهائلة التي تتمتع بها .

- " كات .. " وقطع صوته المتخاذل صوت الأكثر قليلاً من رئيس الخدم :

- مستر "تود" لقد كانت مسز "بيشوب" في انتظاركما منذ فترة طويلة .. لتناول شاي العصر " .

وأجابه "تود" بابتسامة عصبية :

- " نعم أعلم ، لقد تعطلنا " . وناوله الحقيبة .

- " إنه يعني أنني قد عطلته . فساعتي البيولوجية متأخرة دائماً .. خصوصاً أيام الجمعة " .

- " إ ... "سيث" هذه "كات كندون" .. ضيفتي .. لنهاية هذا الأسبوع " .

- آنسة "كندون" ولم تصرح عيناه العسليتان بأي شيء وهما تنظران للفتاة الحلوة التي تبتسم له بعينين ذهبيتين ناعستين . لم تكن خطيبة "تود" المتوقعة تضع ذرة مساحيق على وجهها أو أي أثر لأحمر شفاه على فمها الواسع المكتنز ، ورغم ذلك .. كانت رائعة الجمال ، فارعة الطول ، أطول بعدة بوصات من رفيقها ، وهي تلبس صندلها المسطح .

- " جدتك في انتظاركما فهي لا تزال في غرفة الجلوس يا مستر "تود" وساخذ حقيبة مس "كندون" للغرفة الوردية " .

- " شكرا . هيا يا " كات" لنراها قبل أن تبدل ثيابها للعشاء . وجرها من شمس الأصيل إلى مدخل المنزل الرطب . وبينما ارتقى "سيث" درجا مرمريا لليمين ، قيدت هي إلى بهو صغير أبيض الجدران ، تحفه أواني الأزهار الأثرية، وسجادته تشهد بأنها إيرانية أصيلة . ولمحت "كات" لوحة زيتية ضخمة عند أول فسحة للسلم ، تبدو من الفن التجريدي لا تفهم من لمحة خاطفة ، وتبدو باردة بألوانها من الأزرق والأخضر والرمادي .

ومد "تود" يده للمقبض النحاسي للباب المزدوج في نهاية الممر ، ثم قال:

- " كات " .. لن تخذليني ، اليس كذلك ؟

وردت متعجبة لهذا الانفعال منه :

- " بالتاكيد لا ، لكن ... "

- " أرجوك يا " كات " .. كان المفترض أن أشرح لك من قبل .. ولكن .. أرجوك ، جاري كل الأمور " .

- " حسنا .. " وفتح "تود" الباب قبل أن تزيد ، ودخلا غرفة طويلة مريعة ، مرتفعة السقف يزداد الشعور باتساعها بفضل سجادتها الكريمية الباهتة ، ولوحات حوائطها . ويزيد الأثاث الفخم باللون الأسود العميق من برودة الديكور، بينما تخففه لوحات بالوان زاهية ، ذات أطر سميكة ، و الحشيات المشغولة بالوان تضاهيها بهجة . وفي الناحية الأخرى من الحجرة ، باب مزدوج محاط بستارة من الحرير الدمشقي باللون الكريمي ، يفتح على بركة تبرق بالوان زرقاء تعكس ما يحيط بها من شجيرات الأزهار ونخيل البحر المتوسط . ويوازن هذا الذوق الراقي بالقرب من ذلك الباب ، سيدتان جالستان على أريكة وثيرة ملونة بخطوط كريمية وقرمزية . كانتا تتحدثان بنبرة مكتومة حين دخل "تود" و"كات" . وسرعان ما خيم الصمت .

شعرت "كاثلين" برغبة خبيثة أن تولي الأدبار وهما يقتربان من الجسد المستقيم ذي الرأس الفضي ، الذي يضع عليه تاييرا من الحرير الأزرق الغامق رغم حرارة الصيف وتحته بلوزة متسقة اللون معه . ليست من الحرير الحديث المحبب في الأزياء الحديثة بل حرير من النوع الفخم الباهظ الثمن ، جعلت "كات" تشعر بتخلف ما ترتديه من رداء قطني بسيط ، رغم ما يعطيه من إحساس بالراحة . لابد وان جدته تنضح عرقا تحت ذلك الزي ، رغم مظهرها البارد . وبدا وجهها المزين بعناية في جمود قماش ردائها الحريري وعيناها الزرقاوان الجليديتان تدلان على أنها امرأة من الصعب التاثير عليها . وبدت المرأة الأخرى الأكثر نحافة والضارب شعرها للون البني ذات عينين عسليتين تشبهان عيني "تود" أكثر الفة ، رغم تاثرها بالجو المتحفظ الذي يعم الحجرة .

وقال "تود" معتذرا باستخفاف :

- " أسف لأننا لم نلحق بالشاي ، ولكن "كات" لم تكن جاهزة حين قدمت لإحضارها . جدتي ، اقدم لك "كات كيدون" ، "كات" :جدتي "اديليد بيشوب" ووالدتي "شارون بيشوب" .

وغمغمت "كات" تحيه بابتسام ، متعجبة لماذا يعاملها بادب أمام "سيث" ، ثم يفضحها أمام أسرته .

وتحركت عينا الجدة ببطء من شعر "كات" المتموج المسدل على كتفيها ثم إلى تموجات جسدها التي يظهرها الرداء الذي قال عنه "تود" إنه مناسب تماماً لارتدائه في منزله ثم هبطت النظرات إلى ما ترتديه في قدميها . ولو كانت قد شعرت بتخلف ردائها ، فهي تشعر الآن بانها عارية تماما - وابتسمت داخلها وهي تحدث نفسها .. " علي أن أتعود على هذا من الآن " . واستمرت تبتسم في صبر .

- أهلا مس "كندون" .

- "كات" يا جدتي " صحح لها "تود" بمرح :"كل الناس يدعونها "كات" . وبدا أن السيدة "بيشوب" لم تتعود أن تنادي أحدا بالأسماء الأولى ..

وقالت "كات" برقة :

- " حقيقة اسمي "كاثلين" .

- " هل أنت ايرلندية ؟ "

- " لست متاكدة " قالت هذا ببراءة تبعها صمت لحظات من وقع الصدمة . وابتسمت "كات" لـ "شارون" وتعجبت لظل ابتسامة تلاشت سريعا :

- " سعيدة بلقائكما . لقد حدثني "تود" كثيرا عنكما " وهو قول كاذب، فقد كان"تود" غامضا لحد ما بالنسبة لأسرته ، باستثناء أن جدته مسيطرة للغاية ، وانهاعلى شيء من الغموض ، وعمه - ذلك الذي ستتم خطبته هذا الأسبوع - مدمن للعمل الشاق ، وملتزم تماما بالواجبات النابعة من تقاليد عائلته ،وردت "اديليدا" بنفس الأدب :

- "و"تود" قد حدثنا كثيرا عنك ، تفضلي بالجلوس يا مس "كندون" . إن الوقت متاخر بالنسبة للشاي ، ومبكر لتقديم شراب ، ولكن ربما تحكي لنا شيئا عنك قبل أن تصعدي لأخذ حمام وتبديل ثيابك للعشاء".

وجلست "كات" على كرسي مبطن ظهره بالساتان - بدا مريحا مثل جماله - متعجبة لكم المعاني المتضمنة في الدعوة المهذبة ، وما تحمله من تعريض لتاخرها عن مواعيدها ، وعدم مناسبة ما ترتديه ، وأن نظافة بدنها موضع شك.

وقالت "اديليد" بعد فترة من الصمت الثقيل :

- " من المفهوم انك ممثلة يا مس "كندون"

- "كات" تدخل "تود" مصححا بدون داع .

- " إنها تحب أن تدعى "كات" .

وضمت الجدة شفتيها بقوة ، مظهرة آثار العمر المختفية وراء المساحيق ، في حين أن وجهها ناعم البشرة . لابد وانها كانت رائعة الجمال ذات يوم ، وكانت تتقدم في العمر على كره منها ، تقاوم كل دقيقة من تقدم عمرها بكل اساليب التجميل .

- " من فضلك ناديني " كاثلين" . وعبست لـ"تود" مؤنبة ، فلم تكن تريد أن تؤذي كبرياء الجدة ولم يزد "تود" الذي كان يتململ إلى جوارها عن أن هز كتفيه مبتسما .

- " كاثلين" وبدا الاسم غريبا لطريقة نطقه المتعالية .

- " لقد قال "تود" إنك ممثلة مسرح " .

وقالت بضغطها على كلمة "ممثلة" الكثير . لابد وأن "تود" قد اخبرهم انها ممثلة تؤدي عروضا منفردة ولكنه كان يجدر به أن يكون اكثر تحفظا ، آخذا في الاعتبار مثل جدته العليا .

وتطوعت أن تشرح موهبتها في تقليد الآخرين :

- " لست في الواقع ممثلة بالمعنى المالوف ولكن يطلق علي الناس ذلك ، كما اني اعمل كموديل احيانا ، وكلتا التسميتين من قبيل لطف التسمية لما اقوم به حقيقة " . وانبا جمود وجه الجدة ما توحي به عبارتها من معان ، وازدادت عيناها الزرقاوان برودا . كيف يا ترى يمكنها أن تشرح بادب لسيدة عجوز انها ليست سيئة السلوك كما توحي عبارتها ؟ ونظرت لـ "تود" تستلهم العون ، فادهشها الا تجد على ملامحه سوى البرود ، لا الحرج ، ولا السرور .

ما الذي يجري في هذا المنزل بالضبط ؟

لقد فاتت لحظة الإصلاح . وكان الحديث عن ماضيها أشد وطاة على نفسها . لم تكن هذه محادثة بل استجوابا ، " وتود" لا يزيد عن أن يقف، لا يمد يداً للمعونة، او حتى يقابل عينيها المتسائلتين ، وتناوبت جدته وأمه في سرد تعرية كل تفاصيل ماضيها . فقد والديها اللذين لا تعلم عنهما إلا القدر اليسير ، في حادثة حين كانت في الثالثة من عمرها ، فقدها التام لأي اقارب ، نشاتها في ملاجئ الأيتام ، وحقيقة انها لم تستمر في عمل لأكثر من عام منذ تركت المدرسة في السادسة عشرة من عمرها .

وبمرور اللحظات المنهكة ، بدات " كاثلين" تشعر بتوتر داخلي ، رغم طبيعتها في تقبل الناس بتسامح كبير . لقد كانت "اديليد" عدائية رغم ادبها وتحفظها ، ولم يكن من سبيل لمواجهة ذلك إلا اللجوء للخشونة، لتعطي العجوز مزيدا من الدفع لكشف الفروق الفظيعة للمستوى الاجتماعي والتعليمي لـ " كات" عنهم . إن قليلا من الناس من لم تشعر "كات" بميل لهم ، واقل من ذلك من لم يشعروا بميل لها ، و"اديليد" تنتمي لكلتا المجموعتين ، ولكن لماذا ؟ ولماذا لا تحمل نفس المشاعر لـ شارون بيشوب " والتي كانت توجه اسئلة محرجة كحماتها ؟

ولو لم تكن "كات" صلبة الراس لانهارت . ولكنها تعلم أن الاحترام الحقيقي للمرء ، هو ما يحمله هو لنفسه .. ويقاس العالم باسره طبقا لهذا المعيار . ومع ذلك فقد شعرت بجرح لكبريائها ، بسبب شعورها انها تعرضت عن قصد لهذا الإحراج العدائي .

وأخيرا ، نهضت "اديليدا" وعلى وجهها ابتسامة ظفر ، لتعلن في شموخ أن وقت العشاء قد حان .

- " إن لنا تقاليد على العشاء يا آنسة "كندون" . ولكن لا تحرجي إذا لم يكن لديك زي مناسب فسوف نتفهم موقفك " .

وردت " كات" كاذبة :

- " اوه ، لقد احضرت معي الكثير لارتديه اعلم أن هذا اللون البرتقالي المتوهج يتعارض بشدة مع لون شعري ، ولكني احب الالوان المبهجة ، ومتاكدة انه يمكنني أن اتجاوب مع جمع من الناس " .

وازداد وجه "اديليدا" الشاحب شحوبا ، ولأول مرة تظهر هجومها

www.elromancia.com

صراحة :

- " ارجو ان تفهمي يا انسة "كندون" ان هذا الحفل قد خطط لكل من "دانيال" و "كلاريسا" فقط ، ولن يعلن شيء بالنسبة لك أو لـ "تود" لا سرا ولا علنا ، مساء غد . إنك مجرد ضيفة للأسرة ، وسوف تتصرفين على هذا الأساس . واشكر لـ "تود" لباقته انه لم يبد احتقاره لأمه ولي بعدم تقديم خاتم لك للآن . وربما تدركين يا انسة "كندون" ان اتفاقكما متعجل إلى حد ما " .

وانسحبت تاركة " كات" فاغرة فاها ، وتبعتها امه بابتسامة غامضة لابنها . واستدارت "كات" وعيناها تشعان غضبا .

ورفع "تود" يديه ، نصف ضاحك ونصف جاد :

- " لقد اردت تحذيرك يا " كات" ... "

- " ليس تماما . من اين اتت هذه العجوز المرعبة بفكرة اننامخطوبان ؟ "

وجفل "تود" لذلك الوصف لمن تعتبر نفسها مثالا للسيدة الراقية :

- آسف يا " كات" لم اكن لافعل ذلك لولا علمي انك قادرة على مواجهتها . بل انت الوحيدة القادرة على ذلك " .

وضاقت عينا "كات" وقد تاكدت شكوكها :

- " لست ادري امديح هذا ام هجاء . وإذا كنت احارب في معركة من اجلك يا"تود" الصغير ، اليس من حقي على الاقل ان اعلم السبب ؟ "

ورد "تود" جادا :

- " نعم ،من حقك . آسف يا " كات" .. ولكنني ظننت انه لو اخبرتك مسبقا فربما لم تكوني لتوافقي "

ورفع يديه في استسلام طفولي استرخت له ملامح "كات" القاسية .

يا لك من إنسانة رقيقة يا "كات" ، بقدر صعوبة مراسك في بعض المواقف ، وبقدر سذاجتك في بعضها الآخر . سوف تبتلع قصة حزينة، وكان عليه ان يشعر بالإثم ، ولكنه لم يكن . إنها في حاجة لأكثر مما يمكنها ان تعرفه الآن .

- " هيا لأعلى ، اريك غرفتك ونحن نتحدث . الآن وقد رايت جدتي وطريقتها، سوف تتفهمين الأمر ، وستعلمين انك الوحيدة التي يمكنني الاعتماد عليها . "

www.elromancia.com

الفصل الثاني

عبست " كات " لنفسها في المرآة . ثمة شيء ما بالنسبة لردائها الأحمر أهو الحزام والحذاء الذهبيان ؟ طوله إلى الركبتين ؟ أم فتحة صدره الواسعة التي تناسب دائما ذوات القوام الرشيق ؟

واستدارت متنهدة ، فمن هي لتحكم ؟ لقد ذعر إحساسها بالذوق المتعلق بالأزياء ، حقيقة انها تبدو رائعة الجمال ولو ارتدت أسمالا بالية ، ربما كانت ترتديها بالفعل عند مولدها . وكانت مشورة تعتمد على مشورة أصدقائها في مشترياتها ، وبالتالي فإن دولاب ملابسها خليط متنافر من الأذواق .

وكانت مهارتها تكمن في استخدام الأوشحة ، وبها يمكن أن تدفع أقوى الرجال للتخاذل أمامها ، وبالنساء للبكاء حسدا . وكانت تستخدم واحدا منها في تلك اللحظة، أخضر اللون متدليا من حزامها، المفترض أن يكون متنافرا تماما ، ولكنها متأكدة انه لم يكن .

وكان أيضا الشيء الوحيد غير المفترض ، بالإضافة لملابسها الداخلية بالتأكيد فكل ما عداهما كان مقدما باريحية من أحد زملاء

مسكنها . الرداء لـ"كولين" ، ممثلة موهوبة ناشئة ، والحذاء لـ "فراي" مصممة أزياء مسرحية تندب حظها وقد كانت أقصر من "كات" إلا أنها نفس مقاس حذائها . والحزام من "الان" صانع المنتجات الجلدية ، أما "جيف" الجواهرجي ، فمنه الساعة الذهبية التي تزين معصمها ، والذي قدمها - بدون أن تدري - عشرين دقيقة ليعادل عادة تأخرها الدائم .

ثم بدأت في استعمال أنابيب المساحيق التي لم تكن قد استخدمت إلا نادراً فهي لا تهتم بالتزيين إلا في ساعات العمل ، وكانت هذه الليلة نوعا من العمل بصورة ما . وكان حريا بها أن تستشيط غضباً لخديعة "تود" لها ، ولكن قلبها الطيب أبى عليها أن تتخلى عنه حين يكون محتاجا لها بصورة ملحة فـ"تود" واقع في الحب مع من تعتبر "غير مناسبة بصورة مفزعة ولا يمكنه أن يقدمها لأسرته خشية أن تسحق روحها سحقا . فهي فتاة رقيقة بريئة حساسة في الثامنة عشرة ، تدرس العزف على الكمان ، ولكن ليس لأسرتها مستوى اجتماعي ، ناهيك عن المستوى المالي وليس في مستقبلها كعازفة كمان ما يصلح هذا الخلل الاجتماعي .

فجدته العجوز سوف تلتهم الفتاة الرقيقة ، وتظل شاعرة بالجوع ! وليست "أنا" بالمسلحة لمواجهة عداوة "اديليد بيشوب" ، بل إنها تحث فكرة أن "تود" أفضل من أن يكون لها ، ومن شان رفض أسرتها أن يجهز عليها تماما . ولن تقبل على الزواج منه لو كان من شان ذلك انقطاع روابطه الأسرية التي تقدرها حق قدرها ، وحين بدأت تتساءل عن أسرته، لم يجد بدا من أن يعدد لها مزاياها بأقل قدر من الإساءة .

ثم قابل "كات" القوية الاستقلالية الواثقة من نفسها ، نصيرة الطبقة المتوسطة ، المتصدية دائما للعجرفة والنفاق ، والتي تعاملت معه باخوية فياضة... والوحيدة التي تخيلها قادرة على مواجهة جدته . لقد كانت بالنسبة له نجدة من السماء .

- " كما اني ممثلة مفلسة ، لا أصل لي، باحثة عن الثراء عن طريق التسلق الاجتماعي ، أثير الرعب في قلوب الأرستقراطيين . وحين تنهار انت وتتخلص من تلك السيئة الشريرة ، تشعر عائلتك بالارتياح

مما يجعلها مهيأة لتقبل ابنة الطبقة المتوسطة ، المهذبة الرقيقة " .

وأمن "تود" على كلامها بتواضع :

- " شيء من هذا القبيل " .

- " بل الأمر كذلك بالضبط " ، وتقبلت "كات" الخطة بحماس ، متعطشة لمساعدة حبيبين شابين ، وفي نفس الوقت إخماد بركان العجرفة لدى "اديليد بيشوب" . وكانت خطة لا يمكن أن تصدر عن عقل "تود" المفتقر للخيال ، ومليئة بالثغرات ، ولكن لم يكن لديها - كما بين لها "تود" ما تخسره .

بل لقد كان متعة لها أن تلعب دور المثيرة للاستهجان.

- " لفترة عطلة الأسبوع فقط يا "كات" .. وساهتم انا بامر امي ، فهي لن تنحاز لأي جانب ، إلى أن يتضح الجانب الفائز . أما "دانيال" فهو شخص جامد العواطف ، يترك المسائل الثانوية ، كاختيار عروس له ، لجدتي . ولكن حين يرى أن تصرفي سوف يسيء لسمعة العائلة ، او المصرف ، فإنه سوف يتدخل حتما " .

وقالت "كات" غير مصدقة :

- " امعنى هذا أنه ترك لوالدته اختيار عروسه ؟ "

وهز "تود" كتفيه :

- " تقليد جديد في الأسرة ، وهو ما يجعلني اشعر بالخوف بالنسبة لـ "أنا" فجدتي هي التي زوجت والدي بوالدتي ، وعمتي "ديانا" بزوجها ، وبعد أن اختارت "كلاريسا" لعمي "دانيال" ، فسوف يحل علي الدور لتضعني نصب عينيها . إن "دانيال" في السادسة والثلاثين ، ولا أظنه متحمسا لموضوع الزواج ، ولكني اعتقد انه قد شعر بانه آن الأوان ليقوم بواجبه في إنجاب بعض الورثة للعائلة . فالجزء الأكبر من وقته وجهده موجه للمصرف ، كما أنه نافر من النساء ، ومن ثم فقد ترك لوالدته اختيار افضل المرشحات ، ثم انتقت منهن واحدة . فنحن نعرف أسرة "كلاريسا" منذ سنوات . والدها حامل لقب بريطاني نبيل ، ولديهم جرار من المال . توليفة جينات رائعة من وجهة نظر جدتي " .

وقالت "كاتلين" بحسم :

- " اعتقد ان هذا امر مشين . اعلم انكم قوم محافظون ، ولكن عمك هذا رجل عتيق بمعنى الكلمة ! "

- " اعلم ان "دانيال" سيبدو محافظا لعينيك ، ولكنه لا يملك ان يكون خلاف ذلك . فالسمعة امر ذو خطر في مجال المال . وقد اطلقت عليه إحدى الصحف يوماً : "راهب المال"

وابتسم ابتسامة حانية :

- " واعتقد انه كذلك بلا نزاع . وقد تجدينه باردا ومتحفظا بدرجة كبيرة ، وهو هكذا مع من لا يعرفهم .. ولكنه في الواقع ذو طباع دمثة ، ونو ذوق راق في الملابس "

وتصورته "كاثلين" رجلا من السهل ان تصدمه ، اشبه بثمرة البطاطس ، كثيرة النشا ، ولكنها مثيرة للمل كوجبة دائمة ، وتخيلت من نفوره من المراة احتمالا للشذوذ الجنسي .

ودهشت "كات" ، وسرت في نفس الوقت ان وجدت نفسها جاهزة حين جاء يصحبها للعشاء . فقد كان متاخرا مدة ربع ساعة ، بينما تاخرها المعتاد هو عشرون دقيقة وضحكت قائلة له وهو في حلته الرمادية :

- " ماذا ؟ ليس من ربطة عنق ؟ ودست نراعها تحت إبطه وهي تجره خارج الغرفة الانيقة .

- " وليس من خادم يقرع الجرس لموعد العشاء ، اي مستوى اجتماعي منحط في هذا المنزل ؟ "

ورد مبتسما وهما يجدان الخطى :

- " هناك ساعات دقاقة في كل ارجاء البيت ، فـ "دانيال" يقتني اللوحات والساعات الاثرية " وكانت "كات" تتوقف بين الفينة والفينة ، تتامل اللوحات التي تزين الجدران البيضاء ؛ إن اهتمامه الوحيد خارج المصرف، مع الأوبرا بالتاكيد. فهو و"كلاريسا" متوافقان تماماً.

وقالت بجفاء :

- " بالتاكيد ، إنها لم تشهد اوبرا ومن قبل كانت ترى في الفن امرا تقدره بقلبك ، لا بحافظة نقودك . اما الساعات فهي لعنة حياتها ، حتى انها رفضت ان ترفع عينيها في تلك المعلقة بحجرة نومها .

وسالته بفضول :

- " اين غرفة نومك " وكانا يجتازان سلسلة من الأبواب المزدوجة وغمز لها بعينه :

- " في الجناح الآخر ، إبعاداً لك عن مجال الفتنة - حسب تخطيط جدتي ".

- " شيء كعنبر العزل " ولم تشعر بالإهانة ، بل راقت لها فكرة الوحدة في هذا الجو الفخم ، الذي لن تحصل على قسط منه في الثامن والثلاثين من شارع "ستانتون" وسالت :

- " اهو جناح الزوار او شيء من هذا القبيل ؟ "

- " تقريبا ، عدا "دانيال" ، فله شقة من غرفتين بجوار غرفتك ، واغلب الظن ان لديه تعليمات بمراقبة اية تحركات ليلية . "

- " ومن جهتي فلن اهدأ عن الحركة " . وتذكرت باب الحمام الرائع ، وقالت : - " ارجو الا نشترك في اماكن الخدمات " فقال :

- " لا تخشي شيئا ، فـ "دانيال" مغلق على نفسه . إن له شقته الخاصة فوق المصرف ، ولكنه من النادر ان يستخدمها، فجدتي حريصة على وحدة العائلة " .

- " ولماذا لا تستقل بمسكن لك ، او تستغل مسكنه ذاك ؟ وهناك تقابل " انا " كما يحلو لك ، بدون ان تلهبك سياط النقد من كل فرد " .

ورد "تود" ببساطة حسدته عليها :

- " لان هذا منزلي ، وانا فخور به رغم كل عيوبه . إن اربعة اجيال من "بيشوب" قد توارثته ، وسيكون ميراثا لاولادي واولاد "دانيال" . ولذا فانا حريص على ان تبارك جدتي زواجي من "انا" ، فتنضم بذلك لعائلة "بيشوب" وتقاتل عندئذ من اجلها ، لا ضدها " إن "كات" لم تحس بمعنى منزل لها ، فقد كان منزلها هو فقط نفسها التي تسكن إليها .

وشعرت بالأسف لـ "انا" التي لم يطلعها "تود" على الأسرة التي ستدخل عضوة فيها . ولكن ذلك ليس من شانها ، ولا ما سيحدث بعد ذلك " .

وتوقف "تود" قائلا :

- " هل تشرفيني بارتداء هذا العقد وهذا الخاتم " . وتالق الياقوت

والماس مغشيا بصرها ، وقالت :

- " نعم ، سوف يتناسب هذا مع مظهري كمرتزقة " .

وخلعت السلسلة الذهبية ودستها في صديريتها ، وتركته يحيط جيدها بالعقد، ولكنها خبات يديها وراء ظهرها حين اراد ان يلبسها الخاتم :

- " دع هذا كخطوة تهديدية وإياك ان تفسد صداقتنا بان تطلب مني الاحتفاظ باي من هذه " وكان صوتها رقيقا ولكن التحذير كان جادا .

واتجها إلى ما تخيلتها "كات" غرفة الطعام ، وإذا بصوت "اد بليد بيشوب " ياتيهما واضحا .

- ".. ضخمة بصورة مفزعة يا " دانيال " ، حتى كدت اخشى على الاثاث ، وليس من تربية على الإطلاق . والادهى انها متباهية بجهلها. لست ادري ماذا فتن "تود" فيها . وجاء صوت "شارون " الرقيق مقاطعا:

- " ولكن يجب ان تعترفي يا "اديليد" انها جميلة " . وشكرت لها "كاثلين" - وهي تمسك بذراع "تود " لتوقفه - هذا الدفاع الواهي .

وردت الحماة باشمئزاز :

- " سوف تترهل خلال عدة سنوات ، فلا يمكن لامراة ان تستخدم جسدها كما تفعل بدون ان تخسره سريعا . تصور يا "دانيال " انها صرحت في وجهي بالفعل بانها تكاد تكون امراة علنية ! ولم تهتز لـ "تود" شعرة ! لقد طوته تماما تحت جناحها ، فلا يرى منها خطيئة" .

- " لا يهذب الطباع الخشنة يا اماه ، سوى المواقف الراقية . انا متاكد من انه سيعود لدنيا الواقع في نهاية العطلة الأسبوعية ، حين ييأس من ان يدخلها في زمرة اصدقائنا ومعارفنا " . وتصلب جسد "كات" للصوت الرجولي المعتد بنفسه .

وردت "اديليد" بقسوة :

- " ولكن ذلك لن يحل مشكلة الحفلة ، فهي ستلحق بنا الفضائح بسوقيتها ، وستسبب لنا الحرج ، وهي كلمة لا تعرف هي معناها " .

وقال الابن في ضيق من الامر كله :

- " هيا إلى العشاء أولا ، قبل ان نشغل انفسنا ببقية العطلة ، ربما تستجيب لمحاولاتك الليلة في إقناعها بعدم جدوى التسلل في

العائلات.. وإذا لم يحدث ذلك ، فهناك طرق اخرى بالتاكيد " .

واستدارت "كات" لـ "تود" قائلة :

- " اعطني إياه " ، وتراجع امام ثورة غضبها قائلا :

- " ماذا ؟ "

- " الخاتم ، اعطني إياه " وحين تردد ، مدت يدها في جيب سترته ، واخرجته والبسته إصبعها وقال لها متوسلا :

- " إنك لن تتراجعي يا " كات" ، فهذا سيفسد كل شيء . إنهم يتكلمون عن جهل ، فسامحيهم " فغمغمت :

- " بالتاكيد بالتاكيد ، وبدات تستعرض في مخيلتها الشخصيات المختلفة ، لتنتقي اكثرها إثارة للاحتقار ، ثم قالت :

- " هيا بنا نهزهم هزا " وبدا "تود" عندئذ كارها وهو يقول :

- " كات" ولكن ذلك زادها إصرارا على مواجهة الجدة وذلك العم الصارم ، واصبحت المسالة مسالة شخصية يجب ان تحسم !

وضاع تاثير دخولها الدرامي بكونهم جلوسا وظهورهم للباب . واعطى ذلك عدة ثوان لـ " كاثلين " تتامل فخامة الغرفة واثاثها وثرياتها ، والساعة الفضية المعلقة على شكل كاتدرائية والتي تبدو انها الشيء الوحيد الرخيص الثمن في الغرفة ، والساعة البندولية العتيقة بدقاتها الرتيبة . وتنحنح "تود" بعصبية . واستدارت السيدتان "شارون" في رداء رقيق وردي غامق ، اما "اديليد" ففي رداء ازرق رمادي يضاهي عينيها . ورمقتها "كاثلين" بابتسامة عريضة تحمل من التحدي ما يحمله رداؤها الاحمر القاني وما يحيط به من لون اخضرعند الخصر . ولكن عينيها كانتا معلقتين بالرجل الذي كان يدور ببطء ، كما لو كان كارها ان يفعل ، ليواجهها .

واقشعر بدن "كاثلين" .

لقد كان "دانيال" جميل الطلعة كجمال غرفة طعامه. اطول منها قامة، عريض المنكبين يزيد من جمالهما تفصيلة سترته الراقية ، ويزيد من سمرة بشرته قميصه ناصع البياض . لقد تسرعت في الحكم عليه . وانبت نفسها لذلك . فلم يكن ممن تشبههم بالبطاطس ، بل بثمرة فاكهة احلى واطعم .

www.elromancia.com

وكانت تقاطيع وجهه تركيبة متناسقة من الخطوط والزوايا ، اشبه بوجه ناسك .

وبينما هي تواصل التطلع إليه ماخوذة ، اشرقت عيناه الزمرديتان بنوع من التهكم مع تقوس حاجبيه، يبدو انه معتاد على الإعجاب به... ويجد في ذلك مدعاة لسخريته .

وهمست نفسها بتحذير خفي ، استبعدته على الفور . فما الذي يخيفها من هذا الجمال القاسي ؟ إن الرجل صاحب مصرف ، واحد اعمدة المجتمع ، مكرس لواجباته ، نتاج صلب من بيئته ولم يكن ليمثل لها اي تهديد . بل هي التي تمثل تهديدا له .

ودخلت ميدان المعركة ، لا ترفع عينيها المتحديتين عن عينيه وهي تخطو في تكاسل وميوعة في ثوبها المحكم على ردفيها ، ولم تتغير الملامح الباردة المتباعدة في وجه "دانيال" وهي تقترب .

ولم يبد عليه انتباه لجسدها ، فقد كان مركزا نظره على وجهها . ابتسامتها العريضة الواثقة وعينيها اللتين تفيضان بالانفعالات الداخلية ، وذقنها المرتفع استعلاء على ما يدور في العالم .

ووقفت على مسافة اقرب مما تقتضيه اصول اللياقة ، وساءه ذلك ، وإن لم يعبر عن ذلك إلا بهزة لحظية من ذقنه ، وبدا ان عطرها قد تخلل انفه ، فاسفت انه من عطر "كولين" الغالي الثمن ، وليس من النوع الرخيص المنفر .

ومدت يدها في المسافة الضيقة بينهما ، و"تود" وراءها في قلق يقدمهما كل منهما للآخر . واسدلت جفنيها في خفر ، ثم عادت ترفعهما في غير خفر .

- " هاللو ، انكل دانيال " .

وادى التناقض بين مظهرها المثير وادعاء حياء فتاة صغيرة أثره . فشمخ لها "دانيال" بانفه مستاء من تبسطها معه قائلا :

- " دانيال " من فضلك " . وفاجاها بانه بدلا من ان يهز يدها ، رفعها إلى فمه وطبع عليها قبلة خفيفة ، وشعرت بالضيق فجاة إذ احست امامه بالتضاؤل الانثوي ، وبانها هي الصيد ولست الصياد .

وشعرت بيدها تلتهب من مسكته الرقيقة ، فسحبتها وهي تضم

أصابعها ، وزادت من قوة ابتسامتها وهي تكرر وراءه طائعة :

- " دانيال " .

واستطرد بصوت رقيق :

- " إننا من جيل واحد ، اليس كذلك ؟ إن تشريفي بلقب "انكل" من فتاة في مثل سنك وتجاربك يجعلني اشعر بتقدمي في العمر اكثر من اللازم " .

وصححت له في صوت عذب :

- " من جيل واحد تقريبا " ثم بدات تنشب شصها بعناية :

- " ولكن لابد ان اعرف ان تقدم العمر يزيدك جمالا ، فلا اكاد اصدق انك تقترب من الاربعين اتستخدم مرطبات جلدية لتحافظ على نضارة بشرتك ؟ " وردت على قبلته التي هزت كيانها بلمسة رقيقة من إصبعها على خده الحليق . وجفل لهذه اللمسة غير المتوقعة ، فارخت يدها وهي تضحك له بعينيها العسليتين :

- " إذن فانت ايها السيد البنكي ... مثال الدماثة والرقة والاستقامة، الاتحب المداعبة ؟ " يا للاسف . إن "كاثلين" في احسن مزاج للمداعبة .

- " انسة "كندون" ويبدو انه ليس "دانيال" فقط الغير مرحب لتبسطها .

- " ارجوك ، نادني "كاثلين" وادارت عينيها إلى وجه "اديليد" المتجهم" فقبل كل شيء ، سرعان ما سوف اناديك جدتي " وكانت تقلد "دانيال" في طريقة حديثه بصورة خبيثة " جعلت "تود" تتوتر اعصابه .

وردت العجوز في جفاء :

- " اتمنى الا تدعوني إلا "اديليد" .

- " ليتك تختصرينه مثل ما افعل انا باسمي . هل "سميت" على اسم المدينة الاسترالية ؟

لقد سمعت ان بعض الناس يسمون باسم المكان الذي حملتهم امهاتهم فيه ، فهل كان والداك ..... "

وقاطع "دانيال" سوقيتها " :

- " هل لك في شراب يا "كاثلين" واتجه إلى خزانة الاواني الكريستال، يماثل "كاثلين" في رشاقة خطواته ، وردت بلا مبالاة :

- " فقط .. ساخذ ما ياخذه الجميع " .

- " إذن فلنتناول الشراب وراته يتبادل نظرة خاطفة مع والدته ، وقحة ، عديمة التربية ، غير مهذبة . كانت تقرا افكارهما . " ولكن افضل منكم ياأعزائي الملتحفون بادبكم الزائف "

- أتناول اي شيء . إن تذوقي للشراب قد افسده كثرة تناول المياه الغازية من العلب الكرتونية ، اليس كذلك يا "تودي" .

ورد "تود" مبتسما :

- " ارى انك متواضعة . والآن يا "دانيال" ووقف مزهوا امام عمه هاقد رايتموها . ما رايك في عروسي المقبلة ؟ اليست رائعة ؟ لقد كان بإمكانها الحصول على اي رجل بإشارة من إصبعها ، ولكنها اختارتني انا " فقال "دانيال" :

- " هذا يدل على ان ذوقها بالنسبة للرجال لم يفسد ، إن كان قد فسد بالنسبة للشراب " .

وكانت طريقته المهذبة تدعو للإثارة ، فهي لا تدري ماذا يختفي وراءها رجل.. ام فار ؟

وناولها كاسها ، واخذ يرشف من كاسه وهو يتطلع إليها من فوق حافته :

- " إنك بالتاكيد غاية في الجمال يا "كاثلين" . اجمل من اية فتاة استضافها "تود" ولا عجب ان اراه .. "

- " واقعا في الحب ؟ "

وصحح لها بابتسامة عذبة :

- " هائما " ، وفعلت ابتسامتها ما لم يفعله غرور والدته وصلفها .

- " وانا هائمة به ايضا " ثم مست جيدها برفق وهو غاية في الكرم معي ، كما انه غاية في الإلحاح " . واطلقت ضحكة واعينهم تركز على العقد المرصع ، وتنتقل منه إلى الخاتم المتلالئ بمعناه المثير للذعر .

أعلم انكم تريدون الانتظار . ولكن ليس بيدي مقاومة رغبات "تود" . فهو مندفع في طباعه ، وكان يريد ان نتزوج زواجا مدنيا ، ولكني قلت له ، لا يا "تود" اريد زواجا شرعياً ، وربما يكون زواجنا مع "دانيال" و"كلاريسا" . الا يكون هذا رائعا ؟ "

مع انتحار طبقي لآل "بيشوب" . وتجاهلت "كاثلين" نظرات الرعب المحيطة بها ، حتى "دانيال" كان على وشك ان يفقد طباعه المهذبة .

ورفعت إصبعها ليزيد بريق الخاتم :

- " لقد تركني "تود" اختاره ليوافق عقدي . اليس حبوبا ؟ رغم انه صغير بالقياس لحبنا ، ولكنه قد وعدني المزيد ، ربما حتى من مقتنيات الأسرة " ثم القت ببقية شرابها في جوفها في إشارة خفيفة لعدم تقدير نوعيته وأعلنت :

- " إنني اتضور جوعا . متى ستاكلون ؟ "

وغمغم "دانيال" :

- " اعتقد انه قد حان اوانه " وبدا الوحيد الذي لم يتملكه الصمت لثورتها العاصفة ، وضغط زرا بجوار الخزانة .

وقال وهو يمس خصرها برقة ليقودها لمجلسها :

- " تهنئتي لك " . وفرد فوطة موشاة على حجرها . وسالته :

- " على ماذا ؟ " ولم ترتح للمحة التلذذ في تصرفاته .

- " على خطبتك بالتاكيد . وانتظر حتى جلس الجميع ، ثم اخذ مجلسه عند راس المائدة .

وتفحصت "كاثلين" خطوط المعركة المحددة بعناية "تود" في اقصى مكان منها، "وشارون" مواجهة لها ، اما "اديليد" فإلى يمينها ، ربما لتراقبها عن قرب حتى لا تختلس شيئا من الآنية الفضية .

واهل " سيث " بقامته الشامخة قادما بالشراب الذي بهرها الاسم الملتصق بقنينته ، وتبعته امراة ربعة تدفع عربة محملة بالاواني المملوءة بانواع الطعام .

وقالت "كاثلين" حين وضع امامها الحساء بنكهته اللذيذة ، مع قطع من الخبز الساخن .

- " اشعر كاني في مطعم . ففي سكني يتناول كل منا الطعام على ركبتيه نظرا ، لصغر المائدة " .

وتدخل "تود" في الحديث :

- " إن "كاثلين" تشارك اربعة من اصدقائها السكن " .

- " بنتان وشابان " وتركت لهم تخيل نوعية الحياة البوهيمية التي

تدور في الثامن والثلاثين من شارع "ستانتون" واتقدت عينا "اديليد" لتصور الانحلال الخلقي ، وما سيحيق بال " بيشوب " من خطر العدوى منه .

وقالت لـ " سيث" وهو يملأ كاسها :

- " شكرا يا " سيث" ثم عبست قائلة : " اين الفقاقيع "

- " هذا شراب ساكن يا مسز "كندون" . و كان يحافظ على صوته طبيعيا بعناية فائقة .

- " إنن هلا تكرمت ببعض الصودا ، إنني افضله فائراً " . وراقبت بطرف عينها يد "دانيال" وهي تنطبق في عصبية . وقال بصوت خال من الانفعال :

- " لماذا لاتجربيه هكذا ؟ فقد يعجبك "

- " مادمت ترى هذا يا "دانيال" ، ورمشت له برموشها الطويلة ، ثم رفعت صوتها قائلة " إنما كنت أود شرابي المفضل ، لقد وعدتني به مع الكافيار يا"تود" .

- " ستحصلين على الكثير منهما الليلة القادمة ، ومن ارقى الأصناف " وعلق "دانيال" :

- " ومن اغلاها سعرا ايضا " .

- " ولكن بإمكانكم تقديمها الآن ، فلديكم تلال من المال ، ام أن الكرم ليس من شيم آل " بيشوب " فرد "دانيال" ببرود :

- هناك فرق بين الكرم والتبذير " .

وانبرت "اديليد" قائلة بحدة :

- إن لنا مؤسسة خيرية ، اسسها زوجي : مؤسسة "بيشوب" ، وهي اكبر مؤسسة ترعى الفنون في البلاد " .

وقالت "كاثلين" بابتهاج :

- " وبصفتي فنانة ، ربما احصل على منحة منها " فردت "اديليدا" وقد اقشعر بدنها للاقتراح :

- " لست اعتبر ما تقومين به نوعا من الفن يا "كاثلين" وقال "تود" على عجل، وقد لمح اللمعان الخطر في عيني "كاثلين" ، عالما مدى استعدادها للتحدي بشراسة حين يعرض بفنها :

- " الم اقل لكم ، إن "كات" لا تقوم الآن بما .. كانت تفعله من قبل . إن استعراضها الآن ارقى ذوقا ، اليس كذلك يا "كات" ؟ "

وردت "اديليد" بعنف :

- " ليس في خلع الملابس أي نوع من الذوق على الإطلاق " .

ورغم أن استعراض "كاثلين" كان ابعد مايكون عن الابتذال على النقيض مما تتصوره السيدة العجوز ، فقد نات بنفسها ان تدخل في جدل حول الأمر واكتفت بالقول :

- " بإمكانكم الحضور لمشاهدتي ذات مرة وتحكمون بانفسكم ، ويمكن لـ"تود" أن يحضر لكم التذاكر " فالمفترض انها و"تود" يتقابلان في كواليس المسرح ، وليس في مكان محترم مثل متحف "نيوزيلاند" للجواهر حيث كانت "كاثلين" تساعد "چيف" في تنسيق جناحه .

وكرست "كاثلين" نفسها بقية الوقت في العشاء الرسمي لإيفاء الطعام الشهي حقه من الاهتمام ، مع عدم نسيان ما هي عليه من جهل بقواعد اللياقة ، متجاهلة تلميحا مع "اديليد" حول أصول آداب المائدة.

واخيرا اعلنت :

- " لقد شعرت بالامتلاء لا يمكنني ان اتناول مثل هذا كل ليلة " .

وقالت "اديليد" :

- " إننا ناكل عادة ابسط من ذلك . لقد بذلت السيدة "سميث" جهدا غير عادي الليلة " .

- " حقاً ، هل كان كل هذا من أجلي انا ؟ " وكانت "كاثلين" تتلذذ بادعاء هذا المعنى غير المقصود من عبارة "اديليد" ونحن الذين كنا نخشى ، انا و"تود" ، ان تجعلوا الأمر شاقا علينا . ولكن بعد هذا الترحيب الحافل ، اراني قد اصبحت بالفعل واحدة من الأسرة "

وبدت "اديليد" كما لو كانت قد تجرعت كاسا من الحنظل ، وقد الجمها ان يرد سهمها في نحرها .

وتثاءبت "كاثلين" فاغرة فاها على آخره ، ثم ابتسمت معتذرة :

- " أسفة لم اخلد للنوم قبل الفجر طوال الأسبوع الماضي ، وهاهو يحل بي آثار ذلك " . ولم يكن من داع أن تذكر انها كانت تعمل طوال الليل في مطعم "چينو" ، وليست تتسكع في الطرقات .

www.elromancia.com

ودفعت كرسيها للوراء ، ثم وقفت تتمطى بجسدها قائلة :

- " لا احب ان انطلق للنوم بعد الاكل مباشرة ، ولكن علي ان اسرع قبل ان اخر تحت المائدة نائمة شكرا سيدة "سميث" لا داعي للقهوة "

وابعدت السيدة بابتسامة ودود " رغم علمي بانها رائعة كما كان الطعام ، اقادم معي يا "تود" ؟ " وردت "اديليد " بتجهم :

- " "تود" سيبقى معنا إلى ان ننتهي من عشائنا " ثم رمت الضيفة غير المرحب بها بنظرة وقحة " هناك امور عائلية علينا ان نناقشها "

- " اعلم ذلك " ! ورمت "تود" بابتسامة ، وهي تدرى انه رغم ان الأمر كله تمثيل ، فإن طريقه ليس ميسرا تماما .

ولأول مرة ، ابدت "شارون" وجهة نظرها بصوت متواضع :

- " يجب الا تنامي مباشرة بعد وجبة ثقيلة . المفترض ان تقومي ببعض التمرينات " . وابتسمت لها "كاثلين" في عطف ، مشفقة عليها رغم ما هي فيه من ثراء . هل كانت هكذا في اثناء حياة زوجها أم ان عشر سنوات من الترمل في ظل برود حماتها وسيطرتها قد افقدتها كيانها .

- " اوه ، إنني لا امارس الرياضة على الإطلاق ، وكان صوتها رقيقا على غير وعي منها ، وهو ما يفعله كل إنسان حين يتحدث مع "شارون".

وعلق "دانيال " بصورة غير إرادية :

- " ابدا ؟ " وبدت نبرة الشك في صوته وغمزت له بعينها وهي ترمق جسمه الرائع :

- إن ما اقوم به من تمرينات لا يعتبره البعض من قبيل الرياضة ".

- "لا يمكنك ان تكوني اكثر من هذا صراحة " .

- " بل يمكنني " يمكنها ان تقول مثلا إن التعرض للبخار لسبع ساعات في مطبخ "چينو" كل مساء ، له اثر اقوى من اي تمرينات كمال الأجسام . وخطت عبر الغرفة لتطبع قبلة على شفتي "تود" المتوترتين ثم تقول :

- " إلى اللقاء يا حبي " .

وسبقها "دانيال " ليفتح لها الباب بادب يجري في دمه فالسيدة

يجب ان تعامل هكذا حتى لو كانت ضيفا غير مرغوب فيه . مسكين يا "دانيال" . حتى انت عبد للتقاليد .

ومرت امامه متعمدة ان تحتك بجسده وعيناها تلمعان لما هو عليه من تصلب ، ثم قالت :

- " تصبح على خير ايها النمر " ومضت تقهقه في تكاسل لهذه التسمية الساخرة .

ولحسن حظ صفاء ذهنها انها لم تلتفت خلفها . فالعيون التي كانت تجحدها لم تكن تحمل اي معنى للادب . عينان تشعان بالإثارة ، رجولية وقحة ، مع الابتسامة الساخرة المرسومة على فمه القاسي .

وانتظر حتى تهدأ ثورة جسده قبل ان يعود لمجلسه . لقد كانت "كاثلين كندون" في تحررها تتناقض مع ذوق "دانيال" الراقي . فهو يفضل فتاته باردة ، ذات لمحة من غموض ومع ذلك فقد استطاعت ان تثير ثائرته . إنها اكثر جراة مما وصفتها "اديليد" وشعر "دانيال" بالأسى ان يكون هذا الجمال فاسداً . ولكن مادام الأمر كذلك ، فهو لن يتساهل مع الفساد باية صورة .

الفصل الثالث

داعب صوت غامض اذني "كائلين" وهي في استرخائها امام حوض السباحة فتجاهلته وهي تتمدد بجسدها على الكرسي الطويل . هكذا فلتكن الحياة لاشيء يشغل بالها سوى إذا ما كانت تخرج نفسها من جلستها الكسولة استعداداً للغداء ، ام لا .

- وتذكرت ، عندما كان السرير مغريا للغاية باغطيته الحريرية ، الأمر الذي جعلها تتكاسل عن النزول للفطور ، إلى ان ايقظها "تود" حين جاءها بصينية الطعام ، وجلس امامها على السرير يقص عليها مادار في الاجتماع العائلي الليلة السابقة . وضحكت كثيرا لما وصفتها به "اديليد" من انها افاقة تجري وراء الثروة . ولكن ابتسامتها غارت شيئا ما حين نصحه عمه بالتمهل والابتعاد عن الارتباط إلى ان يمتع نفسه تماما . وترجمة ذلك . ان يعاشرها ولكن بلا زواج .

واقترب الصوت منها ، مصحوبا بلمسة رقيقة هذه المرة على كتفها، فابتسمت وهي مغمضة العينين ، وامسكت باليد الرجولية على كتفها.

لقد عاد "تود" . وكان قد رحل مع عمه منذ ساعة تقريبا متجهين للمصرف .

وقالت مداعبة :

- " لا تجربة قبل الشراء "

- " اهذه دعوة لتقديم السعر ؟ "

وفتحت عينيها على الفور ، ثم ضيقت منهما لضوء الشمس الذي يسطع على وجهها وهي تحت المظلة . كان "دانيال بيشوب" واقفا بجوار الحوض . راسما على وجهه الجميل ملامح متهكمة تتناسب مع الجفاء الذي بدا في صوته . كان مرتديا قميصا رياضيا في لون القشدة ، وبنطلونا ملتصقا بجسده ويكمل صورته حزام وحذاء من جلد الثعبان . وبدا كما لو كان قد خرج لتوه من إحدى مجلات الأزياء الرجالي .

- " لقد ظننتك "تود" .

وارتفع حاجباه يؤكدان الملامح المتهكمة :

- لا غرو أن يكون الولد عصبيا هكذا ، الا تزالان في مرحلة المساومة؟ " لقد تولد لدي انطباع وانا امر امام حجرتك ان "تود" قد انتهى من الاختيار بالفعل".

وغمغمت بلا تفكير :

- " كذا ؟ " . ولم يكن عقلها قد استوعب بعد مدى الإهانة المتضمنة في التورية التي تحملها عبارته .

كان "دانيال " قد اختار اللحظة المناسبة تماما ليختلس النظر خلال باب غرفتها نصف المفتوح وهو مارا في الممشى حاملا حقيبة مستندات . كانت "كاثلين " تضحك على شيء قاله "تود" . ولم يكن الجو يوحي من الممشى انه اخوي كما كان في الواقع ، وحتى ابتسامة "تود" لحظتها لم تكن تحمل اي معنى .

وتذكرت عينيها الناعستين وهما ترمشان لـ " دانيال " كيف كانت تبدو لحظتها وهي وسط السرير غير المرتب " . وعادت صورتها المثيرة حية في ذهنه . فانتابته وخزة لا معنى لها من الرغبة . فتجاهلها كمجرد رد فعل جسدي لا علاقة له بالإرادة الواعية المثقفة التي يحكم

بها حياته . فمن الناحية العقلانية ، لا تسبب له "كاثلين كندون" إلا البرود . وحتى لو أسلم العنان لغريزته معها مرة ، فلن يجد التجربة ممتعة . فالنضج قد هذب من شهوات الشباب لديه ، وارتقى بذوقه وبرغباته ، وهذه الأيام تطلب منه ومن شريكه ما هو اهم من المتعة . وهو محتاج لامراة تثير عقله بعقلها كما تثير بجسدها حتى يظل محتفظا باهتماماته وطموحاته .

ومن ثم فقد كانت "كلاريسا" اختيارا موفقا كشريكة لحياته . إنها تماثله عزما وتصميما . كانت باردة ، مثقفة ومتحكمة في تصرفاتها ، توافق طموحاتها. وكان التجانب بينهما لا يزال ضئيلا ، ولكن "دانيال" لم يكن يهتم بهذا الأمر كثيرا في هذه المرحلة ، فهو لم يخذل امراة قط في متعتها ، ولن تسبب له هذه النقطة مشكلة ما بعد الزواج .

وأخذته هذه الأفكار بعيدا ، ومكنته بالتالي ان يتامل الجسد الفاتن للمراة الممددة امامه وهو على شط الأمان .

اهتز بعنف لحظة ان تململت "كاثلين" في جلستها تحت نظرته التي لا يقرأ معناها وسالته :

- " هل عاد "تود" بعد ؟ " وكان جسدها يتصلب ويسترخي ، وهي تستدير لتنظر للمنزل خلفها ، وينضح بعرق خفيف يزيد من تموجات بشرتها الغضة .

- " لقد حدث امر يستدعي بقاءه مدة اطول . وطلب مني ان اقدم لك اعتذاراته " . وتوقعت "كاثلين" من التجهم البادي في صوته انه المسؤول عن هذا " الأمر " كان عابسا ، وفمه المتعالي مضموما كما لو كان يواجه مشكلة عويصة . وغلى الدم في عروق "كاثلين" ، كيف يتجرأ ويرقبها بهذا الغرور البارد، كما لو كان خبيرا في مجال الفن ، يتفحص قطعة فنية جميلة ، ومع ذلك فهي مزيفة ، ومن ثم لا قيمة لها عنده ؟

وطوت ركبتها في خفر كاذب . إنها لم تخجل من جسدها من قبل ، ولن تترك له فرصة ان يهز ثقتها فيه هذه المرة : " ايعجبك هذا ؟ إنه في الواقع ليس لباس بحر ، بل قطعتين من القماش لففتهما حول جسمي لقد نسي "تود" ان يذكرني ان احضر لباس بحر معي " ورد "دانيال"

www.elromancia.com

باقتضاب :

- " كان بإمكانه أن يعطيك واحدا من هنا . إن لدينا الكثير الذي نعده للضيوف " .

- " لم يخطر ببالي العوم إلا بعد أن رحل . ثم إني لا أرى غضاضة في هذا، أترى أنت ؟ "

- " اتعنين ، بالإضافة إلى كونه لايكاد يستر جسدك ؟ "

وضمت " كاثلين" شفتيها في استياء لاستنكاره الجاف :

- " اوه ، لا تكن متكلفا هكذا يا "دانيال" فكل الأجزاء المهمة مستورة ، ولا أرى ضيرا في ذلك . ثم لماذا أستر مواهبي في جوال ؟ إن شعاري دائما ، " ما تمتلكه ، تباهى به " ؟

ورد متهكما :

- " لم يدر هذا بخلدي . فانا لست متكلفا ، ولكني لا أرى في عرى الأجساد اية جانبية ومن الضروري أن تغطي جسدك وإلا احترق جلدك تحت الشمس الحارة لهذا اليوم القائظ . ويكفي هذا السبب وحده " .

قالت وهي تواصل محاولة إغاظته ، شاعرة بالتخاذل أمامه :

- " ولكني ... لا يحترق جلدي ربما كان لي أجداد من الغجر " .

ولم تهتز له خلجة :

- " إن التعرض لمدة طويلة للأشعة فوق البنفسجية يمكن أن يؤدي لآثار قد يعز علاجها ، سواء احمرار لون الجلد أو إصابته بالسرطان وهو أبهظ من أن يكون ثمنا لمجرد اسمرار للبشرة " .

وسبب لها هذا الاهتمام البارد صدمة ، فسارعت بالقول :

- " لا أعتقد انني مهددة بخطر ما . فلست ممن يقضون الساعات الطوال في تكاسل تحت أشعة الشمس ، إنني فتاة عاملة ، لا تنس ذلك" وعن غير وعي منها ، استعملت كلمة دارجة تزيد من شكوكه فيها حين استطردت . بصفتي من طيور الليل ، فانا أنام أغلب النهار .. على الأقل إلى أن قابلت "تود" وغير مجرى حياتي . فحبيبي الغالي لن يدعني أعمل بعد الزواج ، وعندئذ أبدا أتعود على حياة الكسل " .

واتبعت ابتسامتها الكسولة بتحريك إبريق العصير المثلج في دلال وترتيب كومة المجلات الموجودة إلى جوارها .

إنها لم تجد غضاضة في أن تأتي لتتكاسل بجوار حوض السباحة ، بينما "أديليد" و"شارون" تقودان الجيش من العمال الذين أتوا ليعدوا المنزل للحفلة المقبلة . فهذا عملهما وليس لـ "كاثلين" أي اهتمام به على الإطلاق . ثم إنها قد سبكت دورها تماما لدرجة أنها متأكدة من أن أي عرض من جانبها لمد يد العون لن يقابل إلا بالذعر . فالبرص الاجتماعي يجب أن يوضع تحت الحجر الصحي ما أمكن ، حتى لا تلوث العمالة المأجورة ، كما ستفعل بالضيوف .

- " إن أمامك أسبابا جوهرية لتوخي أكبر قدر من الحذر . فما دمت تستغلين جسدك كسبيل لكسب الرزق ، فمن الغباء أن يعرض رأسمال مستثمر ذو معدل عال للاستهلاك بلا مبالاة " .

وقاومت "كاثلين" غضبها وهو يستخدم مثل هذه المصطلحات التجارية بهذه الصورة المكشوفة في التعريض بها. وانبرت له قائلة :

- " أعتقد أن حياة "كلاريسا" لن تكون خالية من المشاكل معك ، ومادامت ستكون بمثابة أخت لي بالمصاهرة ... "

- " هذا أمر لايزال موضع شك " .

واعتدلت وقد أشعت عيناها الجميلتان بالدهشة :

- " داني" ، ألا يزال ارتباطك بخطيبتك موضع شك ، وأنتما على وشك إعلان الخطبة ؟ "

ورد عليها بفظاظة :

- " إنما كنت أعنيك و"تود" . ثم إن اسمي ليس ، ولن يكون "داني" وهذه العادة منك في رفع الكلفة أمر يثير الاستياء " .

وتمتعت للحظات خاطفة بمنظره وهو على وشك الانفجار ، ولكنه سرعان ما ضيق من عينيه ، وعاد البرود لملامحه .

- " هل تتعمدين أن تكوني وقحة يا " كاثلين" .

- " أوه ، كلا على الإطلاق ، إنما كنت أداعبك ، ومطت شفتيها " ألا تسمح لأحد أن يداعبك يا "دانيال" ؟ "

- " أصدقائي المقربين فقط . وهكذا بين لها بوضوح إنها خارج المجموعة وتساءلت بنبرة معسولة :

- " وليس أفراد أسرتك ؟ أو ه ، "دانيال" ، يبدو أن علي عبئا أن

www.elromancia.com

اخفف الجو في هذا المنزل . اعدك انني حين انتقل إليه ، ان اعلمكم كيف تكون الحياة " .

وعاد لأدبه البارد المثير للأعصاب قائلا :

- " إننا سعداء بحياتنا هكذا ، فشكرا لك يا "كائلين" . وواضح ان توقعاتنا في الحياة مختلفة تماما بيننا ، وليس في نيتنا ان نعدل من انفسنا لنوافق نظرتك لمباهج الحياة " .

- " كل ما اتوقعه من الحياة هي السعادة ، فماذا عنكم ؟ ماذا تتمنون لأغلب البشر في هذا العالم ؟ ماذا تضمرون في احضان مصرفكم من نوايا سرية ومحرمة ؟ "

وتجاهل سؤالها المثير ، وقال بسخرية :

- " الثروة يا "كات" ، لاتنسي الثروة " .

- " المال لا يضيع السعادة يا "دانيال" واستطردت ضائقة الصدر ، تتمنى لو يدرك كم هي غير حاسدة له على الإطلاق :

- " ولو لم يكن هذا صحيحا ، لكانت امك الآن تفيض رقة بدلا من كونها ستارا من التجهم " .

وارتفع ذقنه كما لو كانت قد وجهت له لكمة عنيفة ، وارتعشت ارنبة انفه :

- " سوف تعطين "اديليد" حقها من الاحترام كضيفة ، وتمتنعين عن التنكر لكرم ضيافتها وراء ظهرها "

- " كرم ضيافتها ! هه ! " وكان الغضب قد تملكها تماما ، فهبت واقفة مواجهة له ، رافعة عينيها في عينيه ، تشعان بالتحدي : " لماذا اعاملها كضيفة، بينما اعامل ككلب ضال جيء به من الشارع " .

- " بل قطة ! " صحح لها على الفور قولها ، شاعرا بالضيق لتاثير هذا الجمال الآخاذ الغاضب عليه . شعرها ينسدل تاثرا على كتفيها العاريتين ، وعيناها تشعان احتقارا اخذه على غرة . واستجمع كل ما في ذهنه من كراهية يدفع بها هذه الهجمة الوحشية التي تستمد قوتها من الطبيعة الفطرية التي لا علاقة لها بالمستوى الثقافي :

- " لقد عوملت بكل احترام .. "

- " احترام مجرد من أي أحاسيس . فلنبين لفتاة الليل هذه انها لا

تنتمي لهذا المكان بإغراقها في كل ما يبين لها عدم جدارتها بالانتساب له ، وقد فعلت "اديليد" كل ما في وسعها لتشعرني بذلك ، ولكنها لن تنجح ، اتعلم لماذا ؟ لأن ازدرائي لها لا يقل عن ازدرائها لي ، حين تحاول ان تستعيد دورها في الحياة بالتحكم في حياة الآخرين . ربما لا املك مقومات سيدة مجتمع ، ولكني افضل ان اعيش كامرأة ، إذا كان المقصود بسيدة المجتمع هو استخدام الشوكة المناسبة ، وانتقاء اللفظة المناسبة ، بدون اعتبار لمدى إمكان حب الناس او مراعاة مشاعرهم الإنسانية " . وكانت قد وصلت لأوج ثورتها ، وفي قمة استمتاعها بها : " إذا كنت تتصور انني سارعب من نفاقكم الزائف ، فانتم مخطئون يا سيد! لقد تعلمت باقسى الطرق كيف احافظ على ما املك ، وانا املك "تود" ، ولن اولي الادبار تاركة إياه ليتزوج فتاة تنتقيها له "اديليد" على مزاجها . ولو حاولتم معه شيئا سخيفا فسوف يدهشكم برده . إنه ليس مثلك " وتراجعت وصعدت نظرها فيه، مستعدة للنهاية الدرامية ، إن "تود" ليس رجلا زائف الرجولة في ملابس انيقة ، ولن يدع "اديليد" او امه او انت او مصرفك اللعين ان يتحكم في مجرى حياته . إنه سيحدد قدره بنفسه ، وبمساعدتي ، وليس امامك حيلة في ذلك ! ولو كنتم تبنون آمالكم على انه سوف يملني يوما ما، فانتم واهمون " .

وارضاها ماران على وجهه من وجوم ، فاستدارت لتغوص في الماء الذي تحت قدميها برشاقة ، في إشارة لعدم مبالاتها . ولم يكن الغوص سهلا وهي تحاول المحافظة على ما يستر جسدها من ان ينجرف في الماء . وخرجت إلى سطح الماء تسعل وتضحك في خجل قائلة :

- " كان المفترض فعلا ان ارتدي شيئا اكثر إحكاما " .

واخذ "دانيال" لهذا التحول المفاجئ من الغضب الثائر إلى السكينة والوداعة. ورأى في ذلك امرا يتناقض مع ما يفترض من بساطة تتناسب مع عقلها الضحل ، وهو لا يزال يحاول التاقلم مع تصور ما رمته به من رجولة زائفة . لقد نعت باوصاف كثيرة طوال حياته ، ولكن الد اعدائه لم يحدث ان رماه بالعجز ، او القى اي ظلال من الشك حول رجولته . ورأى في ذلك إهانة ما بعدها إهانة ، ولكن هناك ايضا

www.elromancia.com

امرا يشتت ذهنه ، إذ ولد فيه إغراء بان يثبت لها ما يكذب زعمها ، الأمر الذي سيزيدها بلا شك عجبا بنفسها ان تمكنت من إثارته . ووجد أن طرد "كاثلين كندون" من ذهنه سيكون امرا يتطلب منه مجهودا اشق مما كان متوقعا . إنها لم تتفق تماما مع النموذج الذي تصوره لها في ذهنه وهو يضع خطته دقيقة التفاصيل .

واصابه ذلك بالحيرة والارتباك ، على اقل ما يقال .

وصاحت وهي تشرق بوجهها له :

- إنه رائع " وبدت قطرات الماء العالقة بكتفيها لامعة في ضوء الشمس اكثر إظهارا لجمالها وفتنتها من تلك الجواهر التي تحلت بها الليلة السابقة . واخذ يعجب بها في نفسه في شيء من الأسى .. لو كان له ان يستجيب لذوقه بالنسبة لها ، لألبسها اشد الأزياء بساطة . وسوف يكون مستحقا لكل وصف رمته به إذا لم يقر بانها تملك جسدا يفتن اشد الرجال مراسا ، بدون استثناء لشخصه . ولكن الافتنان امر خارج عن حدود ذهنه ، وليس له مكان في حياة "دانيال" العملية .

- " لا اصدق هذا الدفء في الماء " ، واخذت نفسها ثم غاصت لتلمس قاع الحمام ، ثم صعدت وقالت :

- " ونفس الشيء في القاع . كنت اتصور حماما بهذا العمق ان يكون غاية في البرودة . "

- " إنه مدفا بالطاقة الشمسية ، الواح التجميع هناك " . واوما براسه إلى مجموعة من الأسقف المائلة : " إنها تحافظ على حرارة الماء ثلاثين درجة في الصيف ، وادفا قليلا في الشتاء " .

- " لذيذ " ، إن حماما ماؤه دافئة ، في كل حمام داخلي في المنزل ، ليغني القوم عن الذهاب لأي منتجع " .

وظلت تعوم لمدة من الوقت ، باذلة اقل قدر من الجهد لتظل طافية ، ولم يبتعد "دانيال" عن الحوض ، كما انه لم يجلس ، بل ظل واقفا داسا يديه في جيبيه، منتظراً في صبر وتنهدت "كاثلين" . إنه لم يات لمجرد الاعتذار عن "تود" . لقد جاء عازما امرا ، ولن يتحرك حتى ينجزه. وغاصت ، ثم خرجت براسها بالقرب من حذائه المصنوع من جلد الثعبان ، يتساقط الماء من شعرها.

وقال معلقا والماء يتناثر حول قدميه :

- " لو كنت تعتزمين الغوص مرة اخرى ، وكان شعرك مصبوغا ، فانصحك بارتداء غطاء راس ، فالكلور له تاثير مدمر بالنسبة للأصباغ".

وابتسمت له قائلة :

- " اشبه بكلب وراء عظمة انت يا "دانيال" ، اليس كذلك ؟ .

اطمئن ، كل ما يتعلق بي اصلي ، شعري ، اسناني ، ... انا امقت اغطية الراس ، كانوا يفرضونها علينا ونحن اطفال حتى لا نضطر لغسل شعرنا بعد العوم ، اقتصادا للشامبو . وكانت تؤذينا علاوة على منظرها البشع ، واعتقد أن كراهيتي لها رد فعل ثوري ضدها . ولكني لا اخالك تعرف شيئا عن ردود الأفعال الثورية ، اليس كذلك ؟ "

وغمغم :

- " الست انا كذلك ؟ "

- " انظر لنفسك، حتى وانت في منزلك ، تبدو متقنا اكثر من الواقع. اراهن انك منضبط تمام الانضباط طوال حياتك، ورد الفعل امر يتنافى مع الهندمة!" ووضعت يداً على حافة الحوض، ومدت الأخرى له :

- " اجذبني " كانت لهجتها امرة ، تماثل اوامر "اديليد" وهي في اوج سيطرتها وملاه التعجب لهذا التشابه الأخرق وقال :

- " استخدمي السلم ، إنه على بعد اقدام منك "

واشتد سروره للدهشة التي بدت على وجهها لرفضه ... ورفضها ان تتقبل ذلك "اديليد" تماما !

ووجد انه اغرق في تصور وجه الشبه بينهما إلى درجة تنذر بالخطر .

- " مرحى مرحى يا "دانيال" اين ادبك ؟ " الفرق انها تلجا إلى السخرية ، اما امه فتثور كالبركان . " اهكذا يعامل الضيوف ؟ كل الاحترام ... اتتذكر ؟ " ولم يستطع مقاومة إغراء التمتع بالصورة التي اعطاها لها نفسه ، فقال :

- " سوف ابتل "وكرد فعل ، نثرت عليه حفنة من الماء وقالت :

- " انت مبتل بالفعل " .

- " ايتها الف .. .. "

وقهقهت ضاحكة :

- " هيا ، اشتم ، اطلق لفظا غير مهذب ، اراهن انك لن تتجاوز هذه الياقة المنشاة حول رقبتك " .

وبدلا من أن يفعل ، انحنى وامسك بيدها، ورفعها من الماء ، و امسكت يديها بذراعه لتستعيد توازنها ، وشعرت بعضلات ذراعه القوية ، واصطدمت بجسمه وظلا ثوان متجمدين ، وعينا "كاثلين" على اقصى اتساعهما . ثم هز "دانيال" نفسه مبتعدا عنها ، وقد عاد التجهم لوجهه .

- " بالتاكيد ملابسك ليست مضادة للماء "

ورات أن الاقمشة التي سترت نفسها بها قد التصقت ببدنها بصورة خطيرة ، فاحمر وجهها وقالت :

- " كنت اعتقد أن الرجال المهذبين لا يحملقون " .

- " وكنت اعتقد انك لا يمكن أن يحمر وجهك ، هل يحمر وجهك على المسرح ، والعيون تلتهم كل جزء تعرينه امامهم " .

- " الأمر ليس كذلك ... " ثم انتبهت إلى انها لن تستطيع أن تدافع عن نفسها إلا بهدم الخطة الموضوعة ، فتخاذل صوتها وهي تقول :

- " إن ... الأمر مختلف " .

- " نعم ، فهذه هي الحياة الواقعية ، وهي بالتاكيد اكثر تعقيدا وبعدا عن البهجة إذ يتعين عليك تحمل تبعات ما يفعله الإنسان في الماضي ، مهما كان ذلك مرا . إنها ليست لعبة تغشين فيها إذا لم تعجبك قواعدها . اخشى أن يكون الشخص الوحيد الذي سيضار من هذا الموقف هو انت . هل تحبين ابن اخي ؟ "

وبدا انها لم تكن مستعدة لهذا السؤال المباشر " لا اعتقد ، وسوف يدرك ذلك، مع كل جمالك وذكائك . إنه لن يظل اعمى للأبد ، ونحن آل "بيشوب" نعاقب على الخيانة بكل قسوة . واعتقد انك لا تعرفين النصف الآخر من "تود" كما تدعين . وكيف لك ذلك ؟ إن العالم الذي شكله ، والعالم الذي جئت منه ، لجد مختلفان ... تمام الاختلاف . إنك الوحيدة التي ستتجشم خسارة اكثر من اي فرد منا ، لان امامك

مستقبلا ستخسرينه " .

- " أهذا تهديد ؟ " واستدارت لتلتقط المنشفة ، ولم تكن تصدق هذه البساطة القاسية في منطقه ، لقد كان غاية في ... اللطف ، وهو ينزع عنها كل كرامتها.

- ليس تهديدا ، بل تحذيرا . لا ادري إذا كان "تود" قد أخبرك انه لا يملك من المال إلا القليل .

فميراثه من والده لا يزال تحت يد الأوصياء عليه ، "اديليد" وانا إلى أن يبلغ سن الخامسة والعشرين ونفس الشيء بالنسبة لأسهمه في البنك . فسلطاته المالية مقيدة لاربع سنوات قادمة يا "كاثلين" مدة كافية لتسقط كل الأغشية عن العيون ، وتبين له خطؤه في اختيار المراة التي اختارها لنفسه وستضمن شروط الزواج ، التي ستوضع بواسطة الأوصياء عليه طالما تزوج قبل الخامسة والعشرين ، لك أن تخرجي من الطلاق خالية الوفاض . ومن جهة أخرى ، لو قدمت للإقامة بيننا ، فستجدين نوعا من الحياة كلها قيود بدرجة كبيرة . فعلاقاتنا الخارجية اغلبها علاقات عمل ، او متعلقة بالمؤسسة الخيرية او الأمور السياسية ، لا بهجة فيها لمن هي مثلك ، إنك شابة ، وميالة للتمرد على التقاليد ، وسيكون من مصلحتك ، عاطفيا وماديا ايضا ، أن تبتعدي عن ارتباط لن تستفيدي منه شيئا . وليس لدي ، ولا لدى "اديليد" مانع أن تستمر علاقتكما خارج رباط الزواج ، سيكون لك المسكن ، والملابس ، والحلي ، والخدم ، وكل ما تشتهين ".

ماهر ، غاية في المهارة . وحملقت "كاثلين" إلى الشيطان ذي اللسان العذب ، وهو ينفث سمه الرعاف المغري . وعرفت الآن سر العينين المشرقتين بالمنطق البسيط ، والصوت الرقيق المقنع .

لم يكن ذلك تهذبا ، بل شفقة متهكمة . إنه يشفق عليها ! إنه يعتقد.. بل يعلم انه يمسك كل الأوراق في يده ، وما عليه إلا أن يضعها امامه ليكسب جولته ، ولو كانت هي المراة التي تصورها ... لقفزت من الفرح لعرضه الكريم .. والحقير ! إنها إهانة موجهة لشخص تخيلي ، ولكنها جرحت مشاعرها بعمق ، وفتحت فمها لتقول له رايها في عرضه .

– " دانيال " ، " كاثلين " .. الم تسمعاني انادي ؟ لقد حان وقت الغذاء والمطبخ مشغول للغاية . سيحضر رئيس الطهاة ومعاونوه حالا ، وتريد مسز "سميث" ان يكون كل شيء جاهزا بحلولهم " .

– " قادمان حالا ، لن تستغرق " كاثلين" وقتا طويلا لتجفيف شعرها".

– " هل ... هل كل شيء على ما يرام ؟ " ووقفت "شارون" متسائلة تردد عينيها العسليتين بين الاثنين " يبدو عليكما التوتر " .

– " كل شيء اصبح على ما يرام " . ورماها بنظرة مطمئنة ، مسرورا لنصر لم يحققه " لقد كنت اتناقش مع " كاثلين" حول ما سترتديه هذه الليلة " .

– " اوه " وانتاب " كاثلين" إحساس غامض بان المراة اصيبت بالإحباط " .

– "حسنا لا تشغلي بالك بشان شعرك وزينتك يا " كاثلين" سيحضر عمال من اشهر بيوت التجميل ليقوموا باللازم . وستقوم وصيفتي "جستين" بمساعدتك في الارتداء " ووقفت متلكئة ، كما لو كانت تريد ان تقول المزيد ، ثم استدارت وعادت للمنزل مسرعة . واسرعت " كاثلين" وراءها قبل ان يفلت لسانها الغاضب بما يوقعها في مشاكل .

وسالها "دانيال" وهو يلاحق خطواتها :

– " بالمناسبة ، ماذا سترتدين الليلة ؟ "

وشعرت بمرارة ان سؤاله لم يكن نابعا عن تساؤل حقيقي . إنه حرصه على الشكليات ليستر كذبته ، كما يفعل في كل اموره .

– " رداء احمر مخصص للسهرات " واعتذرت في ذهنها لرداء "فرايا" الاخضر .

– " اوه ، ارجوك ، ليس احمر مرة اخرى " .

وتوقفت متجمدة لهذا التوسل ، وسالته ويداها على ردفيها :

– " وما العيب في ذلك ؟ "

وتنهد كمن تضطره الظروف ان يسمع محدثه في امر لا يحبه ، على كره منه.

– " على الاقل ليس اللون الذي كان عليك بالامس ... ربما شيء افتح لونا . فالالوان الصارخة تعتبر الآن من الانواق التي عفا عليها

الزمن . اما التصميمات الحديثة فتتجه للمسات الانثوية الرقيقة من ذلك المصمم الذي ارسلك "تود" له ؟ " وصرخت فيه :

– " لم يرسلني لأحد . ماالذي يجعلك تعتقد انه دفع ثمن ملابسي ؟ " إنه يدلي بارائه باعتداد نفس ، فمن اعلمه انها ستلقي لها بالا ؟

– " لم اكن معترضا يا " كاثلين" . قالها في صوت رقيق ، معتبرا انه امر طبيعي ان تنكر العشيقة ما يصرف عليها من نقود " من الطبيعي ان يريد "تود" منك ان تكوني ندا لغيرك من النساء .... "

– " وما قيمة الندية ؟ لقد فزت بجائزتي بالفعل ، وبدون نصائح محاسب مرموق فيما يتعلق بالازياء ، فشكرا لك ! لست ممن يحبسون انفسهم في ابراج عاجية لمصممي ازياء معتوهين . ولست القي بالا البتة لما تعتبره من مفترضات الجمال ولا رغبة لدي في الاختلاط بمجتمعك .. "

– " هذا امر ابعد من ان تحلمي به " كانت لهجته مفعمة بالسخرية ، يغذيها حنقه للاستهانة بذوقها في الملابس : " وإذا لم يكن الاحمر الصارخ نكتة سخيفة من جانبك ، فلا تزيدي الاخطاء تعقيدا . وارجوك رجاء حارا ، تبسطي في الحلي ، ولا داعي لطوق الكلاب الذي احاط به "تود" عنقك امس . لخاطر "تود" ، إن كنت تحملين اية مشاعر له ، توخي الحكمة في تصرفاتك " .

– " كنت اتصور انه سيسرك ان اتصرف ببلاهة وقلة ذوق ، حتى اكون جديرة بالازدراء " .

– " هذا حق ، ولكن لا تجري المتاعب على الآخرين " وتناغم صوته مصحوبا بتلك الابتسامة الساخرة التي تدفع للجنون : " ابتذلي نفسك كما تشائين يا"كاثلين" ، ولكن حاولي ان تفعلي هذا بقدر ولو قليل من الاعتبار للطبقة الاجتماعية ، إذا لم تكن هذه الكلمة غريبة تماما على اذنيك"

– " الطبقة الاجتماعية ! حسنا. ساريك ، معنى الطبقة الاجتماعية" واندفعت لغرفتها كالعاصفة صاعدة السلم الداخلي ، واخذت اصابعها تطرق رقما على جهاز التليفون الإلكتروني بجانب سريرها .

ساظهر لك من الطبقة الاجتماعية ما يجعلك تموت كمدا .

- " فرايا " ؟ "

- " هاي ايتها الصغيرة ، كيف الحال هناك ؟ "

- " رائع ! " وأرخت فكيها المتقلصتين حتى تستطيع ان تعطي صديقتها انطباعا طيبا عما يدور حولها ، وقصت عليها في عجالة قصتها في ذلك المنزل ووجدتها " فرايا " قصة تفيض بالإثارة .

- " الم اقل لك ! لقد كان واضحاً أن " تود " يضمر امرا ، وإن كنت اعترف انني اعتقدت ان جسدك الرائع ، وليس طباع الأمومة الأفلاطونية فيك هو ما كان وراءه . ولكني اوافقك انه لا سبيل للتراجع امامك الآن ، ليس قبل ان تلقنيهم دروسا طيبة .. خصوصاً ذلك العم المتعجرف " ثم بدأت تولول: " ولكن ما العيب في ذلك الرداء الذي بذلت جهدي لأجعله ملائما عليك .. لقد كنت اتعشم ان تعلني على الملأ عن اسم ذلك المصمم العبقري الذي اكتشفته انا "

- " مازالت هناك فرصة لان افعل ذلك .. لابد ان لديك شيئا مناسباً " ، وضربت على وتر التحدي فيها :

- " لا اريد شيئا يظهر فتنتي ، ولا شيئا يظهر ابتذالي كما يريد " تود " . اريد ان تاكل الغيرة قلوب هؤلاء الأرستقراطيين . اريد ان اسحقهم سحقا في مجال غرورهم " .

وسادت فترة من الصمت ، ثم جاء صوت صديقتها يحمل سمات الجد :

- " حسنا ، هاك " كولين " املئيها بالأخبار ريثما افكر في الأمر " .

وبعد عدة دقائق من الحديث مع " كولين " ، جاءها صوت " فرايا " لاهثا:

- " وجدتها ! "

- " اتتذكرين ذلك الرداء الأبيض الذي ارتدته " بيني راندولف " في مسرحية الـ" جوليت " إن قوامها يقترب من قوامك بدرجة ملحوظة "

وقالت " كاثلين " في نبرة شك :

- " ابيض ؟! "

- " لا تتعجلي ، إنه لم يعد كذلك . لقد صبغته اسود لمسرحية " اسد الشتاء " وأصبح اكثر بهاء ، وسيزداد بهاء عليك ستبدين فيه راهبة رائعة " .

- " راهبة ؟! "

- " راهبة من طبقة اجتماعية ! راهبة ذات ذوق راق ، راهبة إغراء ! وإذا كان اسمي لا يوحي بطبقة ما ، فلا تنزعجي . لقد لصقت به اسم مصمم من مشاهير بيوت الأزياء . هلا اسرعت بالحضور لأجري التعديلات المطلوبة . سوف تحضرين الحفلة يا سندريلا " رغم انف زوجة الأب الشريرة "؟

www.elromancia.com

الفصل الرابع

السيد " مارلي "

قذف القاضي رأسه للوراء مقهقها .

ومن فوق كتفيه ، التقت عينا " كاتلين " بعينين زرقاوين جامدتين ، وحزينتين ، وشعرت بغصة خفيفة حبست انفاسها ، فاخفتها سريعا بابتسامة صافية وهي ترفع كاسها في تحية زائفة للرجل الواقف عبر الغرفة . وبدا "دانيال بيشوب" وكانه لم يلحظ ما في التحية من زيف . ولكن العنف المكبوت في نظراته فضح ما يدور بداخله . كان رائعا وسط الرجال ، حتى بدوا بجوار وسامته واناقته جامدين وعلى غير طبيعتهم . ولكن "كاتلين" كانت تعلم انه ليس في نصف ما يبدو عليه من استرخاء . فرغم كل جانبيته ، كان من الداخل يضم جوانحه على اشواك حادة . يالك من مسكين يا "دانيال " تفضل الموت جوعا على أن تاكل وجبة تافهة .

أما هي ، فعلى النقيض ، كانت نشوى بنجاحها ، سكرى بانتقامها الذي وجدته لذيذ الطعم بدرجة غير متوقعة ، ومغريا بالإدمان بدرجة

خطيرة .

لقد كان للرداء الأسود وقع فاق كل توقعات جنيتها الطيبة ، مع الشكر لخبراء مس " شارون" الذين كانوا على مستوى التوقع . في رداء يكسوها من الرقبة للقدم ، مع شعر مصفف بصورة رائعة ووجه يكاد يكون خاليا من المساحيق ... بدت "كاثلين" صورة من ربات الجمال . تجمع بين الطهارة والإغراء كما لم تبد امراة من قبلها .

وكان الرداء في تفصيلته المحتشمة ، مع اختفاء التزين والحلي ، قد حولا جمال "كاثلين" الصارخ إلى نوع من الجمال الخفي ذي السحر والبهاء ، لا يدعي شيئا ، ويعد بكل شيء ، كانت الوحيدة التي لم تتحل باي جواهر ، ومن ثم كانت الوحيدة المتميزة . وبعد ان امتص "تود" الصدمة الأولى ، اندمج في اللعبة بكل روحه حتى انه اصر ان تخلع خاتمه ، ووضعه في صدر ردائها قائلا بمرح ان تبحث عنه إذا احتاجت دعما معنويا .

ولكنها لم تفعل !

كانت اميرة مجتمع وسط ما يقرب من مائتي مدعو للحفلة ، آية في الرقة والتحضر ، وحين صدحت انغام الأوركسترا ، راقصت "تود" في رشاقة وخفة خطفت بها إعجاب هذه الصفوة من علية القوم . وحين استطاعت "اديليد" الماخوذة بالدهشة والإحباط ان تنزع "تود" من اقرب الأصدقاء إليه لتقذف به وسط مجموعة من بنات الطبقة الراقية ، زادت اشجانها وهي ترى ان التجمهر حولها قد زاد ، بدلا من ان يقل .

ومع تقدم الحفلة ، وبفعل الشراب وعبارات الإعجاب ، اخذت كاثلين" تسترد طبيعتها من ذكاء وخفة دم ، مثيرة قدرا اكبر من المرح والابتهاج في جو الحفلة.

وكان من الطبيعي ان تلتقي بمن عرفتهم في اثناء عملها . ولم يكن هناك مناص من ان يجري الحديث حول طبيعته ، لتجد " دانيال" كل مرة واقفا مستشيطا وراءها ،، ولذا فقد بعدت بنفسها عن ان تخوض في مثل هذه الامور، إلا ان الضرر كان قد وقع بالفعل ، وزادت مراقبة "دانيال" لها بصورة خطيرة ، حتى اصبح يقحم نفسه في كل مناقشة تخوضها مهما كان موضوعها ، و" كلاريسا" ، شقراء ترفل في ردائها

الحريري الأبيض ، معلقة بذراعه ، ترمق خطيبها ببعض نظرات الحيرة .

ولكن " كلاريسا " كانت امرا محيرا نفسها . لقد كهربا " كاثلين" و"تود" آل"بيشوب" بظهورهما حتى ان "دانيال " نسي للحظة اصول اللياقة ، وكان على "تود" ان يقدمها للسيد "بين" ، زوجته وابنتهما الجميلة الباردة . وابتسمت لها "كلاريسا" ابتسامة يبدو انها كانت حقيقية - ربما كان "دانيال" يحاول ان يحميها من نفس ما كان "تود" يحاول حماية "انا" منه - وغمغمت عبارة ترحيب مهذبة دخلت اذن "كاثلين" وخرجت من الأخرى .

ثم صادفتها "كاثلين" مرة اخرى في غرفة التزين التي أعدت للضيفات . كانت "كلاريسا" تضع بعض اللمسات على زينتها البديعة ، اما "كاثلين" ، والتي لم تكن لتتجرا ان تلمس نفسها خشية ان تنهار كل تلك الأناقة المستعارة ، فقد اكتفت بالتطلع لنفسها في المراة ، متمتعة بهذا الشكل الجديد عليها .

وتجاذبتا معا اطراف الحديث ، كما يفعل اي اثنين تعارفا حديثا ، حول المنزل ، وحلاوة الأنغام التي تصدح في ارجائه ، وجمال الطقس. ولم تبد "كلاريسا" اي نوع من الفضول بالنسبة لـ " كاثلين " او لحقيقة إقامتها بالمنزل. واخذت "كاثلين" انطباعاً ان "كلاريسا" يمكن ان تكون مؤدبة كقطعة من اثاث المنزل . ولأول مرة تقابل "كاثلين" واحدة تعجز عن تقليدها بنجاح . شخصية رقيقة لا يبدو فيها اي شيء مميز حتى صوتها ، كان خاليا من اية نبرة او لكنة تميزه . كانت كمرايا الملاهي ، لا يمكن للمرء ان يستخلص منها حقيقة ما .

وحين قابلها "تود" كانت مستندة إلى الحائط بجوار باب غرفة التزين وعيناها تلمعان بتعبير غامض .

- " هل قابلت " كلاريسا" وتحدثت معها ؟ "

وسالته في دهشة :

- " كيف خمنت " كانت " كلاريسا" لاتزال في غرفة التزين ، تتحدث مع إحدى المدعوات حول خاتم خطبتها .

- " من التعبير البادي في عينيك " .

www.elromancia.com

وتقوس حاجبا " كاثلين" :

- " أتعني أنها دائما هكذا ، حادة الواقعية ؟ "

- " بصورة بشعة " وقالت هاتان الكلمتان الكثير . إن "تود" غير مرتاح لاختيار عمه لزوجته... أو بالأحرى اختيار أمه " مثقفة ، مهذبة، أشبه بصخرة صماء . هل تذكرك باحد ؟ "

- " كلا ، لا أتذكر .. رباه "أديليد ! " واعتدلت " كاثلين" بهزة مفاجئة ، ممسكة بذراع "تود" تحملق فيه برعب يدل على الإشفاق :

- " إنها تذكرني بجدتك " .

- " أعطها ثلاثين عاما ، وستكون جدتي بالضبط . ثلاثون عاما من العيش هنا " .

ثم استطرد واجما : " بل ربما لا تتطلب كل هذا الوقت . لقد بدا يخططان معا بالفعل كاللصوص . هل تتصورين كيف ستكون المعيشة هنا حين يكونان جبهة واحدة ؟

إن الأمر سيىء بما فيه الكفاية وجدتي تحاول تشكيل العالم وكل فرد طبقا لمواصفاتها ، ولكن أن تكون "كلاريسا" بجوارها حليفة طبيعة .. " وزمجر قائلاً : أتعلمين ، لو أن "كلاريسا" تزوجت شخصا آخر ، لربما خفف من طباعها ، ولكن مع "دانيال" .. " وهز رأسه في أسى : " لا شيء يجري هنا في عفوية . كل شيء يسير بتخطيط صارم " .

- " أعتقد أن هذا كان مقصودا به تغذية شجرة العائلة .. أو لعلني أقول ، نوع من التهجين ؟ "

وحتى تعين نفسها على أن تفهم الموقف ، تناولت كاسا آخر من النادل المار امامهما . ليس لها أن تهتم بعدد الكؤوس التي تجرعتها ، فهي لن تواجه مشكلة قيادة سيارة. يكفيها أن تستطيع ارتقاء الدرج !

- " لقد أخبر " دانيال" جدتي أنه لا يريد ملكة جمال خاملة . كان يريد فتاة ذات عمق وقوة ، فتاة تتماشى مع عزيمته في الحياة ، وليس طفلة محتاجة للتدليل . وانا فاهم ماذا يريد ، ، ولماذا ولكن القوة المبالغ فيها ، ليست أمراً مستحبا ، ما رايك ؟ " .

حين تبادل القوة بالحب ، نعم . لقد راقبت " كات" دانيال" و كلاريسا" ولاحظت ما بينهما من احترام ، وتعاطف ، ولكن ليس هذا

الحب كما تفهمه .

- " إن جدتي صارمة طوال عمرها ، ولكن منذ أن توفى جدي وهي على هذه الدرجة من التشدد ، لقد كان ذا إرادة قوية ايضا ، ولكن الحب كان يخفف من الصرامة بينهما ، وما إن مات ، حتى ماتت معه كل فرصة للمرونة . وهذه هي غلطة " دانيال" . إنه و " كلاريسا" ليس بينهما اية عاطفة مشتركة ، وبدلا من أن يشارك كل منهما الآخر ، سيعيشان معا ، منعزلين " واقشعر بدن "تود " وغمغمت "كاثلين" معزية:

- " لا عليك . على الأقل ستكون انت و" أنا" أسعد حالا .

" أنا " محبوبتك ! "وعبست له" تلك التي أتجشم من أجلها كل ذلك".

ورد بسرعة :

- " آه "أنا" هذه ، لقد كنت أحاول ألا افكر فيها . كان المفترض أن تكون هي الموجودة هنا الليلة ، كما تعلمين " .

ودفعت ، إلى ساحة الرقص ، نادمة أن أثارت أشجانه . فهي تعلم مدى استعداد العشاق للحنين ، حين يمنحوا الفرصة . إن "كولين" دائمة الدخول والخروج في ميدان الحب ، كما أن لـ "فرايا" قصصها العاطفية الحزينة ايضا، وكذا "جيف" و" آلان" . لم يكن هناك سوى "كاثلين" محصنة ضد ذلك ، يحميها حذرها لقد رأت الكثير من البنات اللائي شاركنها فترة يتمها ، ممن وقعن فريسة التعطش للحب باي ثمن وترى " كاثلين" أن الحب أمرا لا يأتي قسرا أو على عجل ، وهي متأكدة أنه سيأتي اليوم الذي تقابل فيه الرجل ، الذي سيدخل حياتها ويوقد فيها العواطف التي لا سبيل لإنكارها . وقد حمتها هذه الثقة العاطفية من الارتباطات العرضية ، بالإضافة لحذرها . ولم ينجح رجل حتى هذه اللحظة في أن يدير رأسها .

- " ستيفان " ، " مارتا" ... لكم أنا سعيد بتمتعكما بالحفلة . فانا أعلم مدى عزوفكما عن مثل هذه المناسبات الرسمية " .

وذعرت " كاثلين" إذا أحست أن جهاز إنذارها التقليدي قد خذلها هذه المرة . وكان " دانيال" يبتسم ابتسامة دافئة لم يبتسم مثلها طوال الأمسية ، وهو يحيي آل " مارلي " اللذين كانا يقهقهان على طرفة من طرف " كاثلين" ، ورد قاضي المحكمة العليا :

www.elromancia.com

- " كيف لا ، ونحن في هذه الصحبة الرائعة ؟ لقد كنا نخبرها - "مارتا" وانا- كم اعجبنا بالعرض الذي تقدمه على المسرح ، هل رايته يا " دانيال" . اعلم انك تكن تقديرا لكل ما هو طريف وجديد " " دانيال" ، ذلك الرجعي عتيق التفكير ؟ واحست " كاثلين" بيد الواقف وراءها يمسك بكوعها ، وهو يستدرج "مارتا" لتقص عليه كل تفاصيل العرض الذي تقدمه "كات" مظهرة مقدرتها في التمثيل الصامت وتقليد الأشخاص ، عندئذ اشتدت قبضته حتى كادت تحطم عظامها . وقبل ان تفيق ، وجدت نفسها تجر بلا رحمة إلى الشرفة المضاءة إضاءة خفيفة ، والتي تكاد تختفي وراء ما حولها من نباتات .

وصاحت ؟ وهي تجذب ذراعها :

- " ماذا بك يا "دانيال" . فرد وهو يكز على اسنانه .

- " بل ماذا بك انت ؟ لا تتظاهري بالبراءة . إني اتكلم على هذا التصرف البذيء منك . كنت اعلم دائما انك تدبرين امرا هذه الليلة ولم ادركه إلا الآن .. "

- " ماذا ؟ " وتساءلت عما عساها تكون قد فعلت . إنها تسير بصورة رائعة.

- " لا تلعبي لعبة البراءة معي " وازداد غضبه لما اعتبره تظاهرا بالجهل منها:

- " انت ماهرة في تقليد الأشخاص إذن ، الم يكفك إهانة لأمي ، حتى تجعلي منها مدعاة سخرية الحفلة ... إن تظاهرك بتقليدها امر لا يخفى على احد من الحاضرين كل هذا ابتغاء بعض ضحكات رخيصة؟ إنك لا تفتئين تزيدين الاقتناع بانك احقر من ان تنتسبي لهذا البيت !"

وكادت من هول الصدمة لا تجد جوابا .

- " لست أدري كيف وصل بك الظن لهذا ؟ ! إنني اعلى قدرا من ان استغل حفلة كهذه للاستعراض . وليس هذا إلا من صنع خيالك . حتى أمك لم تلحظ شيئا من ذلك ، وهي لا تقل فطنة عنك " .

- " ولكني لاحظت " .

- " لأنك لم تكف عن ملاحقتي ، وفي اعماقك تود لو ارتكب خطا ما . انت و" اديليد" مرعوبان من ان اقوم بتصرف سوقي ، ثم فوجئتما

حين تصرفت على النقيض من ظنكما . رحت تنسج من خيالك ما ينبئ عن مدى تحاملك ضدي ، الهذا الحد صنعتك امك ... "

- " ايتها المو .... " وقاطعه صوت مرح يذكرهما انهما في وسط جمهور من الناس .

- " هل هذه مناقشة خاصة ، ام يمكن لأي احد ان يشترك فيها ؟ "

والتفتت " كاثلين" ولم تكن تقصد ان تثير ثائرة "دانيال" لهذا الحد ، مبتسمة لـ "ديانا" و"ريتشموند ركس" ، وقد شعرت بارتياح . كانت اخت "دانيال" . الكبرى تفيض مرحا في اثناء الحفل . ويبدو ان خروجها من منطقة سيطرة "اديليد" في فترة مبكرة من عمرها هو السبب في انها تبدو اكثر شبابا من اخيها الوسيم الأصغر منها سنا.

اما زوجها " ريتشموند " فقد كان يناهز الأربعين ، رمادي العينين والشعر ذا صفات تكذب شهرته كرجل اعمال مرموق . وكانت " كاثلين" قد قدمت لهما قبل العشاء ، ودهشت انها لم تشعر منهما بالعداء الذي لمسته من بقية افراد العائلة. بل على النقيض كان ترحيبهما بها حارا، ولم يخفيا سرورهما لرد فعلها حين علمت ان " ريتشموند " هو النصف الآخر من مصرف " ركس - بيشوب " التجاري .

- " رباه ، لقد كنت اعتقد انه مصرف مملوك للأسرة بالكامل ، واعتقدت ان "ركس" هذا ربما يكون كلب الأسرة ، او عم محجوز في برج مصاب بلوثة عقلية" .

وعلق "ريتشموند" بصوته الرقيق المتكاسل :

- " كثير من الناس لا يلاحظون الفاصلة بين الاسمين " واستمرا في الدردشة، غير منتبهين تقريبا للطعنات المهذبة التي توجهها "اديليد" لما ابدياه من ارتياح لها . وقد حاول "تود" أن يدخل والدته ايضا في دائرة الإعجاب ، ولكن يبدو انها لم تكن محصنة ضد مجال " اديليد" المغناطيسي ، وآثرت الانسحاب بدون ان يلحظها احد ، فغمغم شيئا مبهما مغزاه ان في العجلة الندامة " وقالت "كاثلين" حين بدا أنه يتجاهل تدخل اخته الذي جاء في حينه تماما :

- " "دانيال" يتشاجر ، اما انا فاتناقش " .

وفر صوت يشبه الشخير من انف "دانيال" رغم تحكمه الصارم في

www.elromancia.com

تصرفاته .

- " تعالي شاركينا . إن " كاثلين" تصر على أن تكون محط انظار الجميع " .

- " إن اي إنسان في جمالها حري بان يجذب الأنظار . إنها نعمة من الله ، وهي سعيدة بها " . وجاء دفاع " ديانا" امرا غير متوقع تماما . " خبريني عن هذا الثوب الرائع ، إن الغيرة تقتلني ، لقد اخبرني احدهم انك ذكرت أن صديقة لك قد صممته لك .... "

ونظر لما في صوتها من إخلاص ، فلم تجد "كات" غضاضة أن تسر لها بسرها :

-".... وهكذا تعلمين انها اناقة مستعارة " .

وغمغم "دانيال" :

- " امر شيق " وتجاهلته المرأتان ، فالتفت هو لـ "ريتشموند" واندمجا في حديث معقد حول بعض العمليات المصرفية .

- " إن "فرايا" تشحذ كل عبقريتها ، ولكن المسرح له متطلباته التي تحد من خيالها . اما هي في الواقع ، فبإمكانها إنجاز المعجزات . هذا.... " واشارت لردائها " .. قد يبدو وكانه من الحرير ، ولكنه ليس كذلك، فالمسرح لا يستخدم إلا القماش الرخيص . مادام ابدى تشابهاً لما هو اغلى منه ... "

وتدخل "دانيال" :

- " نفس الشيء بالنسبة للنساء " واكتفت "كاثلين" بالابتسام فرغم ما كان منهمكاً فيه ، فقد كان متابعا تماما لهما . وقالت " ديانا " :

- " من الذي يهتم بخامته ، طالما بدا رائعا ، البساطة مع الذوق ، اليس هذا هو شعارك يا "دانيال" ؟ وهذا الرداء مثال لذلك . إنه اشبه بالحلم في رايي اليس كذلك يا "ريتش" ؟ "

وتفحصها بإعجاب متباعد ، ثم قال : " إنه بديع " .

وضحكت "كاثلين" ضحكتها السهلة التي كانت تتقبل بها كل عبارات الإعجاب طوال الحفلة وقالت :

- " إنني عادة افضل الراحة على الموضة ، ربما كان المفترض ان اختار شيئا اقل تكلفة من هذا الذي يكاد يخنقني في الحر . " ونظرت

لـ "ديانا" التي كان رداؤها يبين قدرا لا باس به من جسمها .

- " اوه ، كلا ، إنك متميزة في هذا بصورة كبيرة " .

وعلق زوجها قائلا :

- " لست ادري ، ربما كان من الأفضل لو ارتدت "كاثلين" شيئا اكثر... اقصد ... راحة لها " ، ولما رات " كاثلين" ان "ديانا" مسرورة اكثر منها حاقدة، ضحكت وغمزت له وتدخل " دانيال" ، مصرا على إفساد ذلك الجو المرح :

- " مثل ذلك الثوب الاحمر الذي كنت تنوين ارتداءه ، اليس اقرب إلى ذوقك الشخصي يا "كاثلين" ؟ "

وقهقهت "ديانا" قائلة :

- " اوه "كاثلين" . كلا " .

وهزت " كاثلين" كتفيها ، متعجبة كيف يخرج شخصان مختلفان تمام الاختلاف من رحم واحد :

- يا لـ"دانيال" المسكين لم اكن اعلم انه بهذه السذاجة " والتفتت إلى شريكه :

- " عجبا انه لم يؤد بكما إلى الإفلاس للآن . قد ياتي احد يوما ويترك له جيوبه خالية تماما " .

- " لن يكون انت على اي حال ، مهما كان نجاحك في إفراغ جيوب "تود" .

- " دانيال ! " ولاول مرة تلاحظ " كاثلين" كيف يمكن ان تكون ملامح " ديانا" مشابهة لامها في عبوسها .

- " إذا لم تكن قادرا على المشاركة في جو فكاهة ، فاجدر بك الا تقول شيئا على الإطلاق . لماذا لا تذهب لترى " كلاريسا" ؟ قد تكون تبحث عنك الآن" .

وقالت " كاثلين" بخبث :

- " إنه لا يستطيع . إنه تحت اوامر صارمة من والدته ، أن يراقبني مراقبة لصيقة ، خشية ان اقرر في لحظة ما ان اخرق ما ارتديه ، واقفز للأرجحة في الثريات " .

وانفجر " دانيال" في هدوء :

www.elromancia.com

- " ماذا تريدين مني أن افعل ، اعتذر لك ؟ .. لقد تعمدتما انت و "تود" أن تضللانا حول لعبتكما .. جعلتماها تبدو كمسرحية هزلية بدلا من مشكلة اجتماعية جادة . اعتقد انكما رأيتما في الأمر مزحة كبيرة ، مما يدل على استهتارك ، وعدم نضجك . فانت إذن المسؤولة عن الفكرة التي أخذناها عنك ".

- " وماذا عن إهاناتك ؟ ولكني ساغفر لك غرورك يا " دانيال " مادمت مدركة مدى خضوعك لوالدتك " .

وتصلب جسده :

- " ابعدي لسانك البذيء عن " اديليد" يا "كاثلين" ، بل ابعدي عن طريقها كلية ، وإلا ستكونين انت النادمة " . وانصرف بعد هذا الصياح المتعجرف وبكل لباقة تجاهلت "ديانا" وزوجها الموقف .

وقالت "ديانا" بعد فترة :

- " اتعلمين . إن "دانيال" يتحمل هذه الحفلة جيدا ، ولكنه لم يكن في الواقع يحبذ حفلة رسمية بهذا الحجم . إن هذا تخطيط "كلاريسا" و"اديليد" ولكن "دانيال" كان سيكون اسعد بحفلة صغيرة تضم المقربين من الأصدقاء فقط " .

وغمغمت "كاثلين" غير مصدقة :

- " أحقا ؟ " واخذتا تراقبانه وهو يعود مثيرا نظرات الإعجاب إلى صالة الرقص ، ثم يقف تحت إحدى الثريات باهرة الضوء ليتحدث مع أرملة عجوز في ثوب من الكرب القرمزي ، وعليها من الجواهر ما يغرق سفينة .

- " أؤكد انه لا يقول لها كم تبدو مبهرجة متنافية مع الذوق " .

وامتلأت نفس "كاثلين" مرارة .

- " ليس معنى ذلك أن "دانيال" ضعيف العزيمة . إنه إذا اصر على شيء ، أبدع في إتقانه . كل ما في الأمر انه ينظر لهذه الحفلة نظرة عمل اكثر منها من لهو . فرغم نجاحه الاجتماعي . لا يجد مع مجموعته من الساعات والمنبهات. إنه لا يكتفي بجمعها . بل يصر على معرفة كيف تدق دقاتها ، وكيف تاخذ حقها الدائم من الصيانة " وضحكت ضحكة مجلجلة ، ثم اتبعتها بتنهيدة.

- " كان دائماً يشعرني بالتفوق علي ، منذ ان كنا اطفالا . كنت انا دائما ابدأ مشروعات لا انهيها ، اما هو فدقيق في كل أموره " .

وتضايقت " كاثلين" لما شغله " دانيال " من ذهنها ، وسيطرته على تفكيرها وتصرفاتها طوال الأمسية ، فقررت أن تقصيه عن عقلها ، وتاخذ حظها من المتعة .

ونجحت في ذلك . واثارت من الإعجاب بترك نفسها على سجيتها اضعاف ما اثارته بتكلفها . وبعد أن قامت مغنية مشهورة باداء اغنية بعد العشاء اندفع "تود" في خبث ليصيح مطالبا بان تبدى " كاثلين" مواهبها ، وسمحت لنفسها متضاحكة ان تدفع امام الفرقة الموسيقية حيث استولت على قلوب الحاضرين إعجابا وهي تؤدي بعض الحركات عن عدة مشاهير من علية القوم ، بعضهم كان حاضرا بين المدعوين . وسرعان ما تخلل الضحك اقتراحات باسماء أشخاص ، وتحديات من اولئك الذين وقع عليهم الاختيار ليكونوا ضحية لها ، كل ذلك في جو من المرح وسماحة النفس ، وكان اكثر المشاهد إمتاعا هو منظر "اديليد" وهي تشارك ضيوفها مرحهم بحكم واجبات الضيافة ، ولكن عن غير حماس ، ومنظر "دانيال" وهو متكئ على احد الأعمدة التي تحمل السقف المرتفع ، مندمجا في الحديث مع اصدقائه حول تخمين من سيحل عليه الدور التالي . وابدعت " كاثلين" في تقليد الرجال والنساء على السواء .

وحين انحنت للحاضرين في نهاية استعراضها ردا على الأكف التي الهبت من التصفيق رمت نظرة تجاه "دانيال" ، لترى إنه حتى لم يكن متظاهرا بالتصفيق ولو مجاملة . وكان يبتسم لها في اثناء ادائها ، ولكن رفضه التصفيق لها ، اهاج مشاعر الغضب فيها ، إنه يحتقر فيها ان استعرضت نفسها ، حتى ولو كان ذلك بنجاح ، في فن رخيص كتقليد الأشخاص . حسنا ، ربما لو جعلته هو نفسه موضوع الاستعراض لدفعته للضحك والتصفيق ، وإلا لكشفت للقوم عن ضيق افقه وعنجهيته .

وتقدمت " كاثلين كندون" وقلدت "دانيال بيشوب" .

* * *

www.elromancia.com

مع تباشير الصباح ، وقفت "كاثلين" داخل المكتبة رائعة التنسيق ، تراجع نفسها إذا ما كانت قد غالت في دفعها للأمور بعض الشيء . كان " دانيال " قد اخذ الأمر بمحمل حسن بل اعارها ذراعه وهي نازلة من المنصة ، وإن كان الأمر قد تطلب منها كاسين لتذهب عن نفسها رهبة مالاح في عينيه .

وسالته متثائبة :

- " الا يمكن أن ينتظر هذا الأمر ، فالحفل لم ينته بعد ؟ " .

ونهض "دانيال" عن مكتبه الواقع في بؤرة ضوء مصباح نحاسي ، وتحرك تجاهها على السجادة الرصاصية الوثيرة ، ليدفع لها بقصاصة من الورق .

- " أوه ، لقد انتهى الحفل يا "كاثلين" .. بالنسبة لك على اي حال" .

وضيقت من عينيها وهي تنظر لما في يده :

- " ما هذا ؟ "

- " شيك " .

ورفعت حاجباها مدعية الدهشة :

- " وبمبلغ محترم " .

ورد عليها بذلاقة لسان :

- " اشعر بنوبة كرم هذه الليلة " .

وانتظرت ان يهدا تاثير الشراب عليها ، ولكنها احست فجاة بمنتهى التيقظ ، وبمنتهى الغضب ، فرفعت راسها قائلة :

- " لست أتقاضى عادة كل هذه المبالغ عن استعراضاتي يا "دانيال" .

وشعر بوخزة ، فضيق من عينيه :

- " كل سنت فيه من حقك " .

فاشتعلت عيناها :

- " هذا يتوقف على ما تتوقعه مقابلا له " .

- " وانت تعرفين ما اريد " .

- " نعم ، ولكني أريد ان اسمعه من لسانك ، تحاشيا لأي إساءة للفهم فيما بعد " .

واستجاب متصلبا :

- " مادمت تصرين . اريدك ان تجمعي متاعك وترحلي ، وفي اثناء قيامك بذلك ، تخرجي "تود" من ذهنك فلا يرى منك شيئا بعد اليوم " .

وسالته وقد تصاعد غضبها ، منذرا بالانفجار للرد الذي تتوقعه :

- " لانني لا اليق به ؟ "

وتقلص فمه استهزاء :

- " بالأحرى ، إنه هو الذي لا يليق بك " .

واخذت بالرد ، ثم تنبهت انها مجرد حركة تتسم بالدهاء في مخططة للتخلص منها . واستطرد في صوت غاضب يلقي لها بالحقيقة المرة في ثقة مفرطة :

- " إن "تود" لا يزال صبيا صغير السن ، غير مناسب لإشباع رغبات امراة ناضجة مثلك . لقد تفوقت شخصيتك عليه تماما هذه الليلة ، ولا يمكن لرجل .. أو امراة .. ان يشعر بالسعادة في ظل علاقة مختلة التوازن لهذه الدرجة . وسيكون هذا شانه يا "كاثلين" فهو ليس لديه نفس مقدرتك على اجتذاب الناس إنك صاخبة الألوان .. حتى وانت في لون واحد - جادة المطالب . الا ترين انك إذا ما اصررت على موقفك، تعرضين نفسك للندم في المستقبل ؟ خذي النقود... إنها ستعطيك من السعادة اكثر بكثير مما يمكن لـ "تود" ان يعطيك ، نعم ، لقد وصلت للحضيض . إنها لم تعد حتى جديرة بان تكون عشيقة لـ"تود" . ومزقت رشوته القذرة نصفين ، ثم نصفين مرة اخرى إمعانا في إظهار ازدرائها ، وقذفت بالقصاصات في وجهه المتعجرف قائلة :

- " لن آخذ نقودك ولو تضورت جوعاً .

وقال محذرا في ابتسامة قاسية :

- " يمكن أن ندبر لك هذا المصير " . وضغط بذلك زناد التفجير !

واندفعت تنفث جام غضبها :

- " اتظن انك تخيفني ؟ اتظن أن الفقر هو اسوا المصائر ؟ ربما لحشرة مدللة مثلك . ولكني لدي اصدقائي ، اصدقاء حقيقيون وليسوا طفيليات يتملقوني لقاء ما يمتصونه مني . وفي الحياة الحقيقية ، يساعد الناس بعضهم ويهب كل فرد لنجدة اخيه ، ولا يبيعون ولاءهم كالبضائع . ولكني اعتقد انك تدرك ذلك ، إذ لو كنت واثقا من فساد

www.elromancia.com

العالم باجمعه ، لما انتابك هذا الذعر مني . وانت كذلك بالفعل ، وإلا لما اغرقتني بهذه الحثالة النفيسة ". وقلبت القصاصات امامه في ازدراء:

- " ام تراها فكرة "اديليد" ؟ رباه . لكم انتم ضيقو الأفق ايها القوم . ولكم انا اسفة لكم . نعم . اسفة لكم بحق وانا احصي ما في منزلكم من رياش ، وانا اسمع الساعات تدق طوال حياتكم العقيمة ، اقابل اناسا في ثياب القرود في نفس ضيق افقكم ، تتبادلون فيما بينكم تفاهاتكم الرخيصة . اما ما تقذفه من حجارة تجاه "تود" .. فانظر اولا لبيتك الزجاجي ، اولاً "اديليد" ثم ستتلوها " كلاريسا" . حياتك كلها مصاغة باوامر ممن يرتدين التنورات " .

وانحنت لتقلد "دانيال" وهو يقبل الأيدي في أدب جم .

وسادت لحظة من الصمت الثقيل ، حاولت فيها "كاثلين" ان تسترد انفاسها ، و"دانيال" مائل براسه ، يرقبها بعينين اختلطت حمرتهما بزرقتهما كسماء الهاجرة .

ثم قال بصوت ناعم :

- " اتريدين ان اثبت لك رجولتي يا "كاثلين" .. اكل هذا المشهد الدرامي لإثارتي لذلك ؟ كان علي ان ادرك هذا من رائحتك .. رائحة "كاثلين" حين تثور غريزتها ... "

وهوت على وجهه بصفعة دوت في المكتبة الهادئة وطاحت راسه جانبا من هولها ، ومرت ثوان قبل ان تتنبه "كاثلين" لخيط الدم الرفيع من ركن فمه ، وقبل ان يكون رد فعله .

لقد رد لها صفعتها بمثلها .

الفصل الخامس

كانت لطمة خفيفة لا تماثل تلك التي دوت في ارجاء المنزل ، ولكن حقيقة حدوثها هو ما اذهل " كاثلين" ، فهمست غير مصدقة :

- " اتصفعني ؟ ! "

ورغم إقراراها انها تستحق ذلك ردا على تصرفها العنيف ، إلا انها ظلت لا تصدق ما حدث ، وكررت ... اتصفعني ؟ "

وأخرج منديلا ابيض يمسح به فمه المكلوم ، وقد بدا الارتياح في عينيه ، بينما هي تبدو ماخوذة ومذهولة كحاله هو لحظة ان راها في الثوب الأسود ، مشرقة بالبهاء والجمال وفي لحظة صدق ، وجد نفسه ينظر إلى خيال امراة مدفونة في اعماق ذاكرته .. امراة يسعد الإنسان بتملكه لها وتملكها له ، امراة اعادت له شعوره بالضعف والجوع ، والنهم لأشياء كان يعتقد انه نجح في إقصائها عن ذهنه باعتبارها من نزوات الشباب ، ومرت تلك اللحظة ، تاركة إياه، متوترا لما انتابه من خنوع - ولو لحظي - ايام هذا الوهم الذي نجحت في إيقاعه فيه وقد آن الأوان لها ان تفيق من وهمها ، وان يسترد هو كرامته التي اخذت

www.elromancia.com

طوال الأمسية تسخر منها بمرح وانبساط .

وكررت " كاثلين" بحزم أكبر ، وهي تتحسس موضع لطمته على خدها :

- " اتصفعني ؟ لقد اعتقدت أن الرجال المهذبين لا يصفعون النساء " .

ورد عليها بمنتهى البساطة :

- " لم ادع من قبل انني رجل مهذب " .

وصاحت :

- " ماذا ؟ ! " وكان رده البارد اشبه بلطمة أخرى .

- " لقد كان هذا مجرد افتراض ، مبني فيما اعتقد على معلومات خاطئة لديك عني " وابتسم ابتسامة مثيرة اطلقت العديد من اجراس التحذير : " إن لي أساليبي مع ما ذكرته من التفاهة الرخيصة لدينا . وإذا كانت الشهامة وحسن التربية تفتح ابوابا ، فإن هناك ابوابا اخرى يجب ان تفتح عنوة ، وليس من مانع أن يكون الحذاء الذي يركلها جيد التلميع . لقد كانت هناك اوقات في حياتي العقيمة والمدللة، لم يكن يجرؤ فيها احد على إهانتي بان يصفني بسيد مهذب".

لقد كان وقع انتقاداتها الحادة التي اطلقتها في وجهه صائبا تماما، ولكن ما كانت فيه " كاثلين" من رعب لم يجعلها تلحظ ذلك . لقد كانت تشاهد أمام عينيها نوعا من المسخ للصورة التي عليها "دانيال بيشوب" الماثل أمامها ففي ظاهره لايزال الأرستقراطي الوسيم ، ولكنه بدا فجاة في هيئة ضارية غريبة ، تتناقض مع كل جزئية من الجو المتمدن الراقي الذي يحيط بهما . كانت العينان مرعبتين ، والفم المقوس ينذر بالشر ... ولكن بماذا ؟ وكان عدم الثقة هذا هو أكثر ما يقلقها ، أيهما القناع ، هذا الوجه ، أم ذاك الوجه المهذب ؟ أيهما الرجل ؟ وهل يعنيها أن تعرف ؟

وسالها في صوت حالم أرسل الرعدة في بدنها :

- " الم يقص عليك "تود" يا "كاثلين" ؟ "

وسالت في وجل :

- " يقص علي ماذا ؟ " .. وجاهدت الا تظهر وقع مظهره " كچيكل " و"هايد" معا على نفسها . وتولد لديها إحساس بانه سيتخذ وضعا

للهجوم عند اول بادرة من ضعف .

- " إنني الأخ الثاني يا "كاثلين" . اتدرين معنى هذا ؟ معناه انني لم انشا لكي تؤول إلي المسؤولية الكبيرة لإدارة مصرف "ركس - بيشوب". لقد كان هذا دور أخي الحصيف ، العاقل ، المتحذلق ، وليس دوري . وكنت حرا في أن اصوغ مستقبلي بنفسي ، وهذا ما فعلته . كنت دائما متخاذلا بالنسبة لتحمل المسؤوليات ، لا ابشر باي نجاح في تحمل مسؤوليات إدارة الأعمال ، رغم حصولي على الدرجة العلمية فيها " .

واتسعت عيناها دهشة . من "دانيال" ؟ من ثلاثين ثانية فقط ، كانت تنفجر ضاحكة لما سمعته ، ولكنها الآن كانت تضم في ذهنها المتناقضات الدقيقة للرجل ، وما كان يبدو منه من لمحات او تصرفات عابرة تتناقض مع طباعه الراقية . واحست بانها امام عدو لا يسبر غوره ، والفضل في ذلك ، للدور الذي قبلت ان تلعبه .

واستطرد :

- " بداية تسببت في ضجة كبرى في الأسرة حين رفضت ان اعد كالرجل الثاني في المصرف . وكان اقتناعي انني مؤهل لان اكون قائدا ، لا مقودا . ولم اهضم فكرة ان اقضي عمري كله تحت ظل اخي الأكبر . واعتقد ان "سين" كان متفهما ، ولكن الرجل الكبير صعب المراس لم يفهم . وحين تمردت على المكتب الذي خصص لي ، ثار مهددا بحرماني من الميراث ، وكان في هذا الدافع الذي كنت انتظره ، فانسحبت بكرامتي الجريحة إلى جامعة " هارفارد" وبالتحديد إلى الدراسات العليا ، ولكن في اثناءها اكتشفت ان لي مواهب اخرى خارجة عن مجال المال . مواهب في الرسم " وكانت " كاثلين " لحظتها قد تجاوزت حدود الصدمة ، واطبقت على فكها كيلا يسقط .

" واندمجت مع مجموعة من طلاب الفن غير المرموقين ، وجذبني إليهم اتجاهاتهم السريالية وكان هذا لحسن الحظ في نهاية دراستي التي دفعني لإكمالها عنادي وعزة نفسي ، ولكن فور ان انهيتها ، دققت مسمارا اخر في نعش الأسرة بفراري إلى " باريس " مع فنانة ثرية مولعة بالرسم مثلي ، واخذنا نعيش حياة بوهيمية لم يخرجني منها

إلا وفاة " سين" وشدة إصابات والدي فاضطررت للعودة . ومن الغريب أن تكون هذه السنوات من التحرر والتجارب هي التي أهلتني لعملي بصورة أكبر مما فعلت دراساتي الرسمية " .

وقاطعته "كاثلين" بحدة بعد أن وجدت لسانها أخيرا :

- " شكرا لك على هذا العرض لقصة حياتك ، ولكني لا أفهم ما المفترض أن أجده مثيرا فيها ... "اللعنة ! إذن فقد كانت محقة في فكرتها عنه . فهو ليس بالرقي الذي يوحي به مظهره .

ولم يخدع بكذبتها :

- " أحقا ؟ معنى هذا أنك أسأت اختيار الرجل الذي تواجهينه . معناه أن ردود أفعالي للتهديد ليست بناء على تربيتي ، بقدر ما هي بناء على الدروس التي تلقيتها في الحواري وأماكن الحياة البوهيمية، فلست مقيدا كامي بقيود التصرفات الموروثة ، وعند اللزوم قد ألجأ لوسائل تثير الصدمة لديك " .

وكان صوته رقيقا وبارداً أشبه بـ " الأيس كريم " ، وشعرت بالتخاذل أمام تلك الصراحة منه . ولكنها لم تكن يوما ما جبانة . كما أن القوة دائما بجانب الحق ، وليس الضد .

وقالت له :

- " إن اللجوء للسادية من شيم الضعاف " .

وابتسم ابتسامة الواثق ، مبديا تلذذه بصلابتها الحذرة ، شامخا فوقها بعدة بوصات :

- " إذا كان من دواعي سرورك أن تستثيري في حمية الرجال ، فاعلمي أنني تجاوزت المرحلة الصبيانية ، التي أنشد فيها أن أثبت رجولتي ، منذ زمن بعيد . لقد خرجت من نار التجارب الشبابية شخصا جديدا ، منقحا ، أكثر وعيا بالنيران المغرية .. "

ورغم طباع البراءة في " كاثلين" ، فقد أدركت ما يخيم على القاعة من توتر فجائي . توتر لم تتوقعه ، ولا ترحب به ، ولا تستطيع إنكاره . ولولت في داخلها: " أواه ، كلا ! "دانيال بيشوب" ليس هذا الرأسمالي المادي المنحط ، والذي يحتقرها بقدر ما يجب عليها أن تحتقره ! الرجل الذي لا يحمل خلجة رقة بين جوانحه . كيف بالله تنجذب له ؟

أتراها قد أوقعت نفسها في حبائله ؟ ومتى ؟ هكذا وسط عاصفة الغضب التي تفجرت بينهما ؟ وفي نفس ليلة ارتباطه بالآنسة "صرر المال" ؟

لقد فعل كل ذلك عن عمد ، وكان هذا باديا على وجهه . لقد كان يعرف... فقد استخدم معها بعضا من أساليبه ، ونجح مفعولها معها. وشعرت بصدمة هزت كيانها . استطرد الوحش المخيف ، مستغلا ما حققه :

- "إن صديقتك غاية في المهارة . إنك في ذلك الرداء تشتعلين كلهب من العفة، يشع حراراته ويشع ضوءه الأبنوسي على ما حوله ، مما يدفعني للتساؤل . كم هشة هذه القشرة الخارجية !!! ، ومامدى الحرارة الكامنة فيك ؟ كم من الرجال احترقوا بك ؟ وهل كنت بالنسبة لهم كالعنقاء صعبة المنال ؟ " .

كان صوته قد غدا أقرب لقرقرة القطط ، مشعلا فيها الإثارة لقوة حضوره أمامها ، ووجدت نفسها تتراجع ، لا تحاول حتى إخفاء نزعتها للهرب الذي هو أمن شيء في مثل هذا الموقف .

وقالت في غير حذر ويدها تتحسس مقبض الباب خلف ظهرها :

- " المفروض أن تظهر هذا الجانب منك لخطيبتك ، وليس لخطيبة ابن أخيك". وامتدت يد طويلة سمراء مرقت من جانب أذنها لتستقر على الباب المصنوع من البلوط .

- " وما الجانب الذي تظهرينه أنت ؟ وإذا كنت تضمرين لنا كل هذا الاحتقار ، فما حرصك على الانتماء لمثل هذه العائلة المحتقرة ؟ ألا تتصورين أنني لم أبحث عن السبب حين اكتشفت أنك و" تود" أخفيتما حقيقة أنك ممثلة استعراض محترفة ؟ لقد مثلت دور المبتذلة بالأمس من أجلي ، واليوم أنت في دور الراهبة .. فما مفاجآتك المثيرة التالية التي تخفينها لي ؟ ولماذا ؟ إنني مصر على أن أعرف يا "كاثلين" ! "

هذا ما كانت تخشاه . أن يقترب منها من كل النواحي أكثر من اللازم، ومدت يدها تدفع القميص الناصع البياض ، وأحست بالكهرباء تسري فيها للتوتر البادي في الجسد الفارع الذي يفيض بالثقة المفرطة .

www.elromancia.com

- " لا تحاول إخافتي يا " دانيال " .. "

- " بحق السماء لأفعلن بك ما هو اكثر من الإخافة . لقد اخذت حظك من المتعة الليلة ، والآن ، جاء دوري " .

وكان تهديده مفعما بفورة عاطفة فظة وباردة وهجومية ، دفعتها لأن تحاول المقاومة إلى أن وضع شفتيه على شفتيها ، وكان التلاقي ملتهبا لدرجة أن التراجع كان سريعا ومتبادلا ، وانقطع كل صمت عدا انفاس "كاتلين" المتلاحقة والمضطربة ، أم هو فلم يكن يتنفس البتة ، وهتفت :

- " دانيال .. " ولكن ليس اعتراضا هذه المرة ، بل توسلا ، لم يكن إعلانا بالاستسلام ، ولكن مجرد كلمة ضاعت في الفضاء .

- " إنني معك يا قطيطة ، على طول الخط " . وتسربت حلاوة الكلمات إلى نبضها كالمخدر . قطيطة ! يالسخف . لقد كان الجزء الصغير الواعي من عقلها لا يتصورها قطيطة على الإطلاق ، بل نمرة تطارد فريسة يتوقف عليها حياتها .

- " لست على ما كنت عليه من صفاء الآن يا "كاتلين" ؟ لا تلعبي دورا مرسوما ، أو تتفوهي بالإهانات ، أو بالأكاذيب لي من بين أسنانك الجميلة . إن هذا مالا يمكن أن تكذبي عليّ . ولكم خاب أملي أن كان بمثل هذه السهولة" وضحك ضحكة خشنة هزت أعماقها .

وحاولت المقاومة بعد فوات الأوان ، وقد تملكها الرعب فاعطاها قوة لا إرادية دفعت به وبما ينتابها من رغبة جامحة بعيدا . ونظرت بارتياح واسف وهو يكاد يسقط من دفعتها .

وسالها من بين أسنانه ، مختلطا إزدراؤه باتهامه :

- " هل انت سريعة التقلب دائماً هكذا ؟ . "

وكانت في عنفها قد اسقطت خاتم " تود" على السجادة . فالتقطته وقبضت عليه في يدها كما لو كانت تميمة ستحجب عنها سحره ، وقالت :

- " كلا ! " ، واحست بما في ردها هذا من اعتراف بما حل بها ، فسارعت بالاستدراك :

- " لقد كان هذا تمثيلا مني " .

وكانت كذبة مفضوحة جلبت الابتسام على شفتيه ، ومد يده لها قائلا :

- " هيا بنا نرى "وقفزت للوراء صارخة :

- " إياك أن تلمسني ! أيها الفاجر ، المفترض انك رجل مرتبط " .

- " ولكني لست رجلا مهذباً يا "كاتلين" ، اعتقد اننا اثبتنا ذلك معا بما لا يدع مجالا للشك " . وادارت راسها بعنف ، ولكن بعد أن لاحظ تدفق الدم بوجهها ، فقال :

- " لا داعي لهذا الحرج يا "كاتلين" فامراة مثلك متحررة .. "

- " بحق السماء يا " دانيال " ، هلا كففت عن هذا الهراء ! " ورات ابتسامة متهكمة على وجهه زادت غضبها اشتعالا ، فصاحت :

- " ما المضحك في الأمر ؟ "

- " انت ، بمثل ما لديك من تحرر ، تبدين غير مرتاحة من ناحية رغباتك الجسدية بهذا الشكل "

وكانت قد بدات تستعيد تحكمها الذي اضطرب اضطرابا بالغا لقبلاته ، فتذكرت أن هناك اناسا لا يزالون معتمدين عليها ، فقالت :

- " ما هذا الهراء المطبق ؟ إنني مرتاحة بالنسبة لها بقدر ارتياحك انت بما لديك " .

- " ولكني اتعجب .. امن الممكن الا تكوني قد سمحت لرجل من قبل أن يصل للمراة متدفقة الانوثة التي في داخلك ؟ هل اظهرت لك انك من الممكن أن تكوني ضعيفة كبقية الجنس البشري ؟ "

" وهل يضمن نفسه في هذه الملاحظة الأخيرة ؟ تساءلت بعصبية . وكانت دقة حدسه هائلة . فمعلوماته عن النساء عموماً ، وعن "كاتلين" على وجه الخصوص، اغزر من أن تطمئن إليه مرة اخرى .

وقالت له بصوت بارد من شدة الفهم :

- " كل ما بينته لي انك لا تختلف عن اي رجل آخر : تعتقد في قرارة نفسك انه لا يمكن مقاومتك " .

- إذن فانت تشعرين بالثقة في نفسك لدرجة انه لو اخذتك بين ذراعي مرة اخرى ... "

وولت الأدبار قبل أن يكمل عبارته ، حتى وهي عالمة انه لا يقصد إلا

اختبارها ، فمع "دانيال" لا يمكن ان تطمئن لأي شيء بعد ذلك . وامسك بها بسهولة قبل ان تصل للباب ، ويعلم الله ماذا كان سيحدث لو لم يفتح فجاة ، كاشفا عن "شارون" و"تود" محملقين في دهشة عند عتبته.

واحمر وجه "شارون" وهي زائغة النظر بين فم "دانيال" المتقلص والفتاة اللاهثة التي يمسك بها امامه بذراع يحيط بخصرها :

- " إر .. "دانيال" ، كنت اريد ان اخبرك ان "ديانا" و" ريتشموند" منصرفان . كان المفترض .. ان اقرع الباب اولا . ربما يمكنك .. ان تاتي لوادعهما بعد ان تنتهيا من .... حديثكما " .

وذعرت "كاثلين" وهما ينسحبان . فمدت يدها متعلقة بالباب :

- " كلا انتظر ! .. "شارون" "تود" اوه "تود" .. حمدا لله ! انكما جئتما . هذه لم تكن . لم تكن ... " وكادت تنكفئ وهي تحاول التخلص من قبضة "دانيال" ، حين خلى سبيلها فجاة :

- " اتعلمان ماذا كان يريد ان يفعل ؟ "

وسالها "تود" مهتما :

- " كلا ، ماذا ؟ "

وقال "دانيال" في صوت متناغم :

- " ماذا يا "كاثلين" !! لا داعي لإحراج نفسك " ولم تكن ملامحه الهادئة الرزينة تنبئ عن ذلك الوحش الغضوب الارعن الذي يضمه في صدره واعلنت بطريقة درامية :

- " لقد كان يحاول رشوتي " .

وكان رد الفعل مخيبا لآمالها . لم يبد على "تود" الامتعاض ، او الثورة من اجل خاطرها . وامه الخجولة ، التي تبدو سهلة الإخافة ، لم تفعل سوى ان طاطات راسها في سرور . وحاولت " كاثلين" مرة اخرى .

- " لقد حاول ان يعطيني مالا من اجل ان اهجرك " .

- " حقا ، كم ؟ "

واستشاطت غضبا لسؤاله المرح . كان المفترض ان يسبك دوره من اجلها على الاقل . واخبرته في صوت اجش . وحين عبس "تود" ، احست بفرح . الآن سيندم "دانيال" على ان اهانها .

- " اهذا القدر القليل ؟ وانت رفضت ، صح ؟ احسنت يا "كاثلين" . إنني استحق اكثر من ذلك . ولو صمدت قليلا، فسوف يزيدك بلا شك".

وكان تعليقه غير المتوقع مثيرا لحنقها :

- "تود" ، الا تفهم . لقد اهانني ! "

وردت "شارون" بعطف :

- " انا متاكدة انه لم يكن يقصد هذا يا " كاثلين" . " اعمياء هي ؟ الا تدرك ما يدور امامها ؟ ام تفضل تجاهله ؟ ربما كانا ثملين لدرجة تمنعهما من استيعاب الموقف " .

وقالت مصرة ، والغيظ ياكل قلبها :

- " لقد صفعني "

- " لقد صفعتني هي اولا " وارتفع صوتها مشبعا بحنقها :

- " حين لم تفلح رشوته الدنيئة ، حاول ان يغريني " .

وتمنت الا تضطر لإعطاء تفاصيل اكثر تخجلها .

وجاءت التفاصيل المخجلة من عبارة بليغة الهبت وجنتيها :

- " وحاولت هي بدورها إغرائي " وقهقه معذبها .

وكانت ابتسامة "تود" هي القشة الاخيرة . يالللرجال ! لقد ضاقت ذرعا بهم جميعا .

- " تود" إذا لم تقلع عن هذه الابتسامة السخيفة على وجهك ... "

ورد "دانيال" بابتسامة تشبه ابتسامة ابن اخيه :

- " فعلا يا "تود" عليك ان تصلح من منظر وجهك " .

وصاحت بصوت كالرعد :

- " اخرسا انتما الاثنان ! " واستجمعت ما بقي لها من كرامة جريحة ، واتجهت للباب شامخة الراس .. هربا ! :" إنني متعبة ، وصاعدة للنوم . وسوف ارحل فور ان استيقظ "

وسرها ان تلمح بطرف عينها السرور يختفي فجاة من وجه "تود" ، و"شارون" المراقبة الصامتة ، تنظر بعصبية لـ "دانيال" ، الوحيد الذي بدا على مستوى الموقف .

وقال بصوت رقيق متواضع ، مزهوا بانتصاره :

- " فكرة عظيمة .. اعتقد اني سوف انسحب ايضا . لقد كانت ليلة

www.elromancia.com

مرهقة لنا جميعا " .

وصفقت "كاثلين" الباب وراءها ، حامدة ربها انها سرعان ما ستنتهي من كل آل " بيشوب " .

- " ماذا تعني بقولك إنه لم يعد لي منزل اعود إليه ؟ " وتقلصت اصابع "كاثلين" على سماعة التليفون المجاور لسرير نومها ، وقد تقلص قلبها بصورة عجزت معها عن التركيز وبدا "چيف" يصور لها حجم المأساة :

- " اعني ان المسؤول عن الصحة العامة قد قال إن المسكن غير مناسب للسكن الأدمي إلى ان يصلح "برستون" المجاري . وبكل صراحة يا " كاثلين" المكان كله في فوضى عارمة . إن هناك نهرا حقيقياً بين المطبخ والصالة . وقد قررنا الانتقال جميعا للمعيشة مع اصدقاء لنا " .

- " ولكن .. متى ساتمكن من العودة ؟"

- " هذا يعتمد على "برستون" وانت تعلمين شحه في مسالة المال . ليس قبل عدة اسابيع . ابقي انت مكانك يا " كاثلين ، وساجلب لك حاجاتك في سيارتي".

ولولت :

- " ولكني لا استطيع البقاء هنا يا "چيف" . "

- " ولم لا ؟ لقد صورت لنا ان الإقامة ممتعة . واقل شيء يفعله معك "تود" الأحمق بعد العمل الجسور الذي قمت به من اجله ، هو ان يستضيفك عدة اسابيع "

- " ولكني لا ازال اريد ان اعود ، وارى ذلك الدمار "

وسمعته يهمس :

- " إنها تريد ان تعود ! " ثم سمعت دمدمة ، قبل ان تدخل "كولين" في الخط.

وقالت لها بكل جد :

- " اسمعي يا "كاث" . كلنا نعرف ماذا سيحدث لو عدت . سوف تتملكك كل صور الغضب للظلم الفادح عندما نضطر لهجر مسكننا بسبب تقاعس "برستون" في تحمل مسؤولياته . وسوف تتمنين لو تقبضين على عنقه ، ولكنه سوف يستدر عطفك ببعض القصص

المؤثرة ، وينتهي الأمر بان تقرضيه بعض المال، كما فعلت من قبل " .

- " ولكنه سدده لي " .

- " نعم ، بعد ستة اشهر ، وبعد ان اصبت بصدمة كهربية بسبب احد الأسلاك العارية ، وخشي ان تقاضيه . كوني حازمة مع "تود" ، وهدديه إذا لم يسمح لك بالبقاء ، فسوف تكشفين مؤامرته " .

وبعد عدة دقائق ، كان بطنها يتجاوب مع صوت الأنية وهي تعد للفطور ، بينما نصيحة صديقتها الخبيثة تدور في راسها ، وكانت غير راغبة في الاستجابة لايهما .

وكانت الأسرة مجتمعة باكملها في غرفة الفطور ، يخيم الصمت عليها بينما صحف الصباح تقرأ بعناية ، امام اطباق البيض بالكبد والكلاوي وثلاثة انواع من الخبز المحمص والشاي والقهوة ، يعاد ملء اقداحهم باستمرار بواسطة "سيث" .

وقدرت "كاثلين" ان افضل وسيلة هي ان تتصنع النسيان التام لما دار الليلة السابقة وانتابها شعور مزدوج من الراحة والشجن حين حياها الرجل الجالس في صدر المائدة ، وراسه يختبئ وراء الجريدة منهمكا في التحليلات المالية بها، ابتسامة عابرة . فهذا التجاهل المتعالي كان من المفترض ان يكون من جهتها هي ، وليس من جهته هو ، وهب "تود" مرحبا يجلب لها من اطايب الطعام ، ورغم اعتراض معدتها ، فقد اكتفت بتناول قطعة من الخبز المحمص وبعض المربى . وفهم "تود" الرسالة ، فتنحى عنها في عصبية .

وجلست " كاثلين" بجوار "شارون" ، الوحيدة التي لم تحمل تحيتها لها اي معنى مستتر . وشعرت " كاثلين" بانفراج توترها النفسي ، تتمنى لو تفهم هذه المراة . فاستكانتها الرقيقة تحمل تهديدا يماثل هجومية "اديليد" . فهل هي صديقة ام عدوة . إنها لم تكن ضدها الليلة الماضية ولكنها ايضا لم تكن معها .

واخذت تلوك الخبز ومزاجها يزداد تعكيرا كلما رات "تود" سعيداً بطبق البيض ، وكان شيئا لم يحدث . وكان الجميع كذلك ، وشعرت بنفسها تتوتر ، فـ"دانيال" مثلا ، يرشف قهوته في استرخاء كاي مخلوق آخر ، وكانه لم يكن ذلك الوحش الذي كان يراودها عن نفسها

الليلة السابقة . إنه لا يحق له أن يبدو معتدا بنفسه راضيا عنها بهذه الصورة ، وكانه لم يكد أن يغتصب ضيفة الأسرة تحت سقف بيته ، وإن كانت كلمة الاغتصاب ليست في محلها مادامت الضحية كانت متمتعة بما سيحدث .

ورفع بصره ، وضبط عينيها الواسعتين مسلطتين عليه . وتمكنت بمجهود خرافي الا يحمر وجهها ، ولكنها لم تستطع منع رموشها من ان تطرف ، فابتسم لها ابتسامة بطيئة مثيرة .

- " هل حزمت متاعك يا "كاثلين" ؟ "

وتوقف الخبز في حلقها ، فبدأت تسعل في غضب ، بينما اسرع "تود" بالقول :

- " انظري ، لقد شغلنا صفحة كاملة في اخبار المجتمع " ، ودفع بالجريدة أمام عينيها المبتلتين .

كانت صورة لـ"دانيال" و"كلاريسا" و"تود" و "كاثلين " . ولمحت ما وصفتها الجريدة بانها "نجمة براقة فاتنة تنضم لأسرة "بيشوب" كما لاحظت كيف ركز المصور عليها ، بدلا من صاحبة الحفل الأصلية .

ودفع بالجريدة لـ"دانيال" ، فغمغم شيئا وعيناه تمسحان الخبر بسرعة ، وتشعان بزهوة النصر . وكانت اللحظة الحاسمة التي تدفعه فيها لمراجعة حساباته واسعدتها الفكرة وهي تضيف كمية وافرة من الكريمة لقهوتها . وعليها الآن أن تخيب ظنه في احتمال رحيلها .

وقالت بصوت عذب :

- " كم هو مؤسف أن صورة " كلاريسا" لم تكن افضل . إنني اشعر باسف عميق ان اغطي عليها في حفل خطبتها بهذا الشكل . أعتقد أن الأمر يرجع لنجوميتي وبالنسبة لرحيلي يا " دانيال " ، الم يقل لك "تود" ؟ إن هذا مستحيل؟!! واخشى ان تكون مضطرا لتحملي في بيتك مدة اطول " .

الفصل السادس

- " سوف تحرقين اصابعك " .

- " آخ ! " واعادت " كاثلين" قطعة البسكويت على الرف الشبكي ، واخذت تمص اصابعها نادمة " : " هذا ما استحقه جزاء محاولتي أن أسرق واحدة منها . ولكنها تبدو لذيذة جدا . اعتقد انه يجب علي الانتظار إلى شاي العصر ككل واحد هنا "

واستدارت مسز "سميث " ذات الطلعة المهيبة عن فرن الحائط في المطبخ الفسيح المتوهج ، وكانت توشك أن تودعه صينية أخرى ، وبدت ملامحها الصارمة تتحول تدريجيا إلى نظرة تخاذل مرح امام مارأن على وجه " كاثلين" من ترقب .

- " ساضع بعضا منها امام النافذة لتبرد من أجلك " .

- " شكرا "هيلين" " ورمتها بابتسامة تقدير ساحرة ، من ابتساماتها التي سرعان ما خلبت بها لب كل من يمت لآل "بيشوب " بصلة :

- " لقد مرت أعوام لم اذق فيها عجائن منزلية " .

www.elromancia.com

قالت "هيلين سميث" وهي مشغولة بما في الفرن الذي تجده " كاثلين" مشتعلا كلما مرت على المطبخ لوجبة سريعة أو حديث عابر :

- " الا تجهزين طعامك بنفسك ؟ "

واعترفت " كاثلين" بمرح :

- " لا اطيق ذلك . لقد كان التمييز صارما في ملجا الأيتام . البنات للطهو ، والأولاد لأعمال الحدائق . وكان عملنا كئيبا لا مرح فيه . ومن وقتها افضل الأكل على تجهيز الطعام " .

- " ومع ذلك تعملين في المطعم أحيانا " .

وضحكت " كاثلين" :

- " نعم ، ولكني لا اطهو . فـ "جينو" لا يسمح لي أن اضع يدا على ما تبدعه يداه " وتذوقت واحدة من امام النافذة ، فوجدتها قد بردت . فجلست على حافة مائدة المطبخ تهز ساقيها الطويلتين . لم تكن تجد غضاضة في الانفتاح على "هيلين" او اي فرد من العاملين في المنزل . وكان العاملون واهل الدار يتعايشون معا طبقا لمستويات صارمة وضعتها "اديليد" ، وضربت بها " كاثلين" عرض الحائط . فبوصفها مرت بنفس طبيعة العمل في بعض مراحل حياتها ، كان من السهل عليها عمل صداقات مع من يحمل عبء المنزل حقيقة .

وابتسمت قائلة :

- " إنني اعمل مع "جينو" لأنه صديق منذ زمن ، ومطبخه متعة كما انه يسمح لي ان آخذ جزءاً من اجري على هيئة طعام " .

- " إذن فانت هنا " وظهر وجه "تود" الساخط متبوعا بجسده ، مكسوا بحلة رمادية وقميص ابيض ورباط عنق هادئ اللون . مرحبا بمسز "سميث" . لقد كنت انادي عليك في كل مكان من المنزل يا " كاثلين" .

- " احقا . وبدات في قضم قطعة البسكويت الثانية . ولم تكن لتعتذر عن اختيارها المطبخ كاحب مكان لها في البيت . فعلى الأقل كان المكان الذي تضمن فيه الترحيب والحديث الودي .

- "كنت اعتقد ان ارتفاع الصوت في المنزل يعتبر نوعا من السوقية" .

- " جدتي ليست هنا "

- " اعلم . لقد ذهبت إلى احد المعارض الفنية مع " كلاريسا" ،

ووالدتك مع مجموعة الموسيقى " .

- " كان الأجدر بك ان تذهبي إلى معرض الفن إذا لم يكن لديك شيء اخر تفعلينه " .

- " إنني شخصية غير مرغوب فيها ، هل نسيت ؟ إنني غير مرحب بي في اي مكان المفترض ان اجلس وحيدة طوال اليوم مهملة ، اجتر ذكريات حياتي السابقة على معرفة السيد "تود" . وبالمناسبة ، ما الذي تفعله عصر أيام السبت؟ لقد تولد لدي انطباع انه دون وجودك المستمر في المصرف ، فسوف ينهار النظام المالي للدولة باسرها " .

- " "كاثلين" اعلم انني كنت مشغولا ، ولكن ذلك لا يجعلك تبدين كـ..... "

واكملت برقة :

- " كما لو كنت خطيبة سريعة الغضب ، لم تر خطيبها سوى خمس دقائق على مدى الأسبوع ، ففي الفطور منهمك في العمل ، والغداء في أثناء العمل ، والعشاء عشاء عمل .. أمتاكد انت انه لا يزال في حياتك مكان لواحدة مثلي ؟ "

قال مصرا ، وهو واع لمسز " سميث" تشغل نفسها بلف عجائنها على الطاولة الرخامية .

- " كانما كان كل هذا خطا مني ! " فردت بتجهم .

- " اعتقد اننا نعلم جميعا خطا من هذا " . لقد اثبت "دانيال" براعته الفائقة في اللعب على الوجهين . ففي ذلك الصباح ، تفادى بمهارة قنبلتها التي فجرتها ، واظهر تحدياً معها وهو يؤكد انها مرحب بها كضيفة على "تود" إلى ان يتم ترميم مسكنها .. وواضح ان السيد "هايد" لا ينطلق إلا في المساء ، اما في النهار ، فدكتور "جيكل" يفضل العقل على القوة الغاشمة . وفي اللحظات الخاطفة التي كانت تلتقي فيها به ، كان السرور يبدو على ملامحه لنجاحه في إبعاد "تود" عن مجال فتنتها .

- " نعم ، ولكن ، الا ترين يا "كات" انني الرابح في الحالتين ؟ فلأول مرة يترك لي "دانيال" فرصة المشاركة في إبرام الصفقات ، وإن كنت اعلم انه لم يفعل ذلك إلا ليجعلني مشغولا على الدوام ، فمن جهة اخرى

يعطيني الفرصة لإثبات نفسي وكفاءتي في تحمل عبء الإدارة ، ولا يمكن له بعد ذلك أن يتهمني باني لم أصل بعد إلى مستوى هذه المسؤولية . فإذا ما أبديت كفاءة في تحمل كل ما يلقيه علي ، ثم تمسكت به بعد ذلك ، فهذا هو الخير بعينه " .

- " كلام طيب ، ولكن وانت تبذل كل هذا لإثبات وجودك ، الا من لفتة للأمور الأسرية . وإذا كان هذا حالك معي ، فسيكون هذا حالك مع " آنا " أيضا " .

وفجر الاسم كل وسائل الدفاع عند "تود" ، فدفع بها خارجا متجاهلا ما بدا من "هيلين" من فضول ودهش .

وهمس لها قائلا :

- " إنني لا أفتا أطلبها ، ولكنها مشغولة للغاية بامتحاناتها ، ومن ثم فهذا موافق تماما للظروف . لقد شرحت لها ظروف الصورة الفوتوغرافية التي التقطت لنا ، وعن حقيقة ما تفعله . وقد تكدرت في البداية ، ولكن سرعان ما اقتنعت باننا نفعل هذا لمصلحتها " .

- " جميل ، ولكن لا تنس انك وعدتني بان تعرفني بها ، وكان هذا شرطي الأول قبل الدخول في هذه المهزلة " .

- " وسوف افعل ، فور أن تنتهي من امتحاناتها " .

- " قد يتصور أي إنسان انك تتهرب من ان تجعلنا نتقابل " ولكنها في اعماقها كانت لا تزال تتذكر الرعب الذي كان يتملكها كلما أزفت أوقات الامتحانات ، وكيف أن روحها المتفتحة للتمتع بالحياة لم تكن تتفق مع قواعد التعليم الصارمة وشعرت بالتعاطف مع "آنا" . وإن لم ينفذ هذا "تود" من التقريع : " حسنا ، ولكن لا تنس انك إذا لم تقم بحمايتي والوقوف بجانبي ، فسوف ارحل بصرف النظر عن حالة المسكن . إنني لاازال اتذكر تلك الليلة المرعبة ، وانك عند أول بادرة كنت في صفه " .

وابتسم ابتسامة استكانة صبيانية :

- " لقد اعتذرت عن ذلك . فقد كنت غائباً عن الوعي " .

- " ولكنك لم تكن غائباً عن وعيك حين خدعتني بخصوص عمك ... "

- " لم اكن أريد أن اخيفك " .

- " نعم ، لقد أردت أن أصطدم به أولا .. لقد دبرت لي شركا مرة أخرى . وهذه أحد طباعك السيئة، هل تعلم "آنا" عنها شيئا يا ترى ؟ "

- " هل تلوميني على هذا ؟ القليل من الناس يمكنهم التعامل مع "دانيال" على مستوى الندية . ولست منهم . لقد عشت في الظل بجواره مدة طويلة .. " واحست كانها تسمع صدى صوت "دانيال" ، حين يتحدث عن أخيه الأكبر " ، ولم أشا أن أظل طوال حياتي قابعا في ظله". وكان "دانيال" قد تمرد باسلوبه الخاص " . ولست في مثل قوته ، ولكن لي أيضا إمكاناتي ويمكنني أن أظهرها لو أتيحت الفرصة . إنك لم تذوقي ماساة العيش في عائلة تحيط بك بافكار مسبقة عنك وعما يجب أن تكوني عليه . إنك فخور بنفسك يا"كاثلين كندون" ، إنسانة مستقلة . لست مضطرة إلى أن تعتذري لأحد لما انت عليه، وهذا سر قوتك . انظري ماذا انجزت إلى الآن ، جعلت "اديليد" تقف موقف الحذر، وجعلت القلق يستولي على "دانيال" ، في أسبوع واحد اقتحمت هذا المكان ، ولن تعود الحياة فيه إلى سابق عهدها ابدا .. حمدا لله " .

وشعرت بعدم ارتياح لهذه الثقة المفرطة منه فيها ، ولم تكن لتشاركه فيها . لقد كانت على أتم استعداد لمواجهة سطوة "دانيال" وثرائه ، ولا يزيدها هذا إلا قوة في مواجهته ، ولكنه يملك سلاحاً آخر خفيا ، حمدا لله انه لم يدركه بعد . ففي ليلة الحفل كان قد مس فيها أوتاراً لم يمسسها رجل من قبل ، وفجر فيها بقبلته مشاعر واحاسيس ورغبات ازدهرت أمام عينيها كدنيا غنائية متلالئة . فخور ومستقلة هي ؟ إنها لن تكون هكذا لو اكتشف "دانيال" الحقيقة في عدوه.

- " وبالنسبة لشكواك ، ما رايك في حفلة الأوبرا الليلة ؟ "

وردت "كاثلين" في ارتياب :

- " لقد فهمت انه لا يوجد مكان شاغر في مقصورتكم الخاصة " .

كانت "اديليد" قد اعلنت مزهوة أن حضور افتتاحيات الأوبرا من تقاليد آل "بيشوب " ، وان للأسرة مقصورة محجوزة على الدوام لهذه المناسبات . وأن الحفلة الليلة سيتلوها حفلة عشاء في فندق "ريجنت". وقد أحيطت " كاثلين" علما بان الترتيب قد تم منذ عدة أشهر ، وإن أمكن أن يدبر لها مكان في حفلة العشاء ، فهذا مستحيل بالنسبة

للمقصورة " .

- " إن والدي " كلاريسا" لن يحضرا ، فقد حدث تحذير بوجود قنبلة على متن الطائرة التي كانت ستقلهما من الولايات المتحدة ، وتم تحويلهما لطائرة اخرى تاخرت بدورها " وابتسم قائلا :

- " ومن عجيب المصادفات انهما لو كانا مسافرين بالدرجة السياحية لما عانيا من كل هذا التاخير . ولكنها متطلبات الأبهة . " لم تكن " كلاريسا" فظة مع " كاتلين" باية صورة ، ولكنها في المقابل كانت تنظر إليها كنوعية من الحياة غير مفهومة لها ، وكانها هبطت من كوكب اخر ، قومها اكثر انحطاطا بالتاكيد . وسرعان ما ادركت " كاتلين" السر .

كانت " كلاريسا" إنسانة تفتقر إلى الإحساس بالفكاهة ، ولا تقدير لديها لما في الحياة من سذاجات . كانت تاخذ كل شيء ببرود ، وجدية، بما في ذلك نفسها . كانت صرحا من المنطق ، معبدا مقدسا للنظام ، اما " كاتلين" ، الفوضوية ، المفتونة باللذات الحسية ، فجديرة بالإقصاء .

- " لست ادري ، إنني لم اشهد اوبرا من قبل ، الا تعتقد انه من الصعب ان ابدا بـ" فاجنر ؟ "

وهز كتفيه :

- " هذا امر متروك لك . لقد قال "دانيال" : إنك في الغالب لن تقبلي الحضور".

واشتعلت عيناها :

- " هل قال هذا ؟ "

- " نعم . لقد قال إن الأوبرا ربما تكون اكبر من استيعابك ، وستشعرين بالملل " .

وتملكتها ثورة الغضب :

- " احقا قال ذلك ؟ "

- " وقال إنه ربما تفضلين البقاء في المنزل ومشاهدة المسلسلات التليفزيونية "

- " يدهشني ان يعلم ان هناك مسلسلات تعرض في التليفزيون ،

بماذا يصف التليفزيون ؟ هراء يلقى للعامة ؟ إنه يقصدني بالتاكيد . إذ قال إنني من هواة مشاهدته" .

- لا اذكر انه قال شيئا من ذلك " .

- " ذات صباح على الفطور ، ولم تكن موجودا بالتاكيد ، وكان "دانيال " قد حضر ليتاكد من ذلك " وابتسمت بخبث :

- " وضايقه ان يراني اقرا في جريدته ، وقد اشعت الفوضى فيها. ومن يومها وانا اقرؤها اولا . كنوع من الانتصار البسيط ضده على العموم ، لا اظن انني ساحضر الليلة . شكرا لك " .

وكما توقعت ، راته يفغر فاه :

- " وتدعينه يثبت كل ما قاله عنك ؟ "

- " الا تعتقد انني ضد الإثارة النفسية غير المباشرة حين تمارس معي ؟ "

- " اسف يا " كات " ، ولكني اريد حضورك حقيقة . فجدتي تريد ان تدعو بنت إحدى الصديقات ، ومعنى هذا : انها إحدى المرشحات من طرفها لي " .

- لم اكن اقصدك ، بل كنت اقصد "دانيال" ، تعلم انه يستثيرني للحضور، فماذا يتوقع مني ان افعل ؟ ان استغرق في النوم ويعلو شخيري على العازفين؟" ومع ذلك ، لقد كان الأمر مغريا بالنسبة لها .. تجربة قد تندم لو تركتها تفلت من بين اصابعها : روعة ليلة الافتتاح ، مقصورة خاصة ، ثم الاحتكاك بالطبقة العليا في فندق " ريچنت" . قد لا يكون لديها ملابس لائقة ، ولكن لم يكن ذلك يمنعها ، إن "اديليد" هي التي سياكل الضيق قلبها . اما بالنسبة لغير ذلك ، فسوف تكون مثالا للتهذيب والنظام ، شان كل بنات الأسر الراقية ، ولياكل الغيظ قلب " دانيال " .

* * *

- " كيف امكنك ذلك يا " كاتلين" ؟ كيف بدر منك ذلك ؟ " وكان وجه "اديليد" شاحبا من الغضب ، وكان يمكن لـ "كات" أن تشعر بالأسف لها ، لو لم تكن متخذة موقفها ذاك منها .

وهزت كتفيها :

- " لقد كان الأمر حادثة غير مقصودة ، كان يمكن أن تحدث في أي مكان".

- " كلا ، لا يمكن أن تكون حادثة غير مقصودة . هذا بالنسبة لك فقط، فكل تصرفاتك في الحياة ليست إلا لا مبالاة إجرامية . لست أدري ما الذي دفعك لمصاحبتنا !!! إنك لا تفهمين شيئا عن الأوبرا على الإطلاق ... لقد كان باديا انك كنت تراقبين المتفرجين اكثر من مشاهدة خشبة المسرح .. "

وأخذت عينا " كاثلين" تبحثان عن المذنب وسط المقصورة المعتمة . كانت "كلاريسا" و"شارون" تتحادثان في هدوء ، متجاهلتين في أدب التقريع المنهمر على رأس "كاثلين" ، و "تود" كعادته يتململ بلا انقطاع وراءها ، بينما "دانيال" متكئ بظهره على الستارة المخملية الحمراء المحيطة بالمقصورة ، مادا ساقيه داسا يديه في جيبيه متظاهرا باللامبالاة ، ولكنه رد على نظرة "كاثلين" الاتهامية بنوع من البراءة التي تتلذذ بها ، وعيناه تقولان لها : " الم احذرك ؟ "

- " الم يكن كافيا ان تلفتي إليك الأنظار بردائك هذا .. حتى تصري ان تلطخينا جميعا بقلة ذوقك وعدم إحساسك ؟ "

- " لقد كنت أعتقد انني ارتديت زيا مناسبا لهذه المناسبة " . كان الرداء الأسود ذو الرقبة المخنوفة والذي التقطته سريعا في إحدى مشترياتها الخاطفة، يبدو كئيبا وخاليا من اي ذوق ، مناسبا بالتالي من وجهة نظرها لهذه المناسبة ، وارتدت معه جوربا أحمر كاللهب مزينا برسوم موسيقية سوداء . وقد مرت سريعا على محل "جيف" حيث استعارت قرطا أحمر على صورة الخنافس، ومع ذلك فقد كانت تشعر انها لاتزال ينقصها شيء ما ، فاكملت زينتها بوشاح بالوان قوس قزح ، طوته مرتين ثم لفت به جيدها ، تتراقص نهايتاه على صدرها ، واكمل المصفف وفتاة التزيين صورتها الكاريكاتيرية وحين راها "تود" هكذا في ابهى زينتها - اقترح أن يستغنيا عن مشاركة البقية الشراب الذي كان يقدم قبل انصراف الأسرة للحفلة ، وقام بتهريبها خارج المنزل إلى سيارته التي اقلتها إلى المسرح . وحين وصل الباقون إلى هناك ، كان مظهر " كاثلين" قد اتى باثره على

الجمهور في الجولة الأولى لها .

وكانت الجولة الثانية لها ايضا . لقد وجدت في العرض ما يجذب اهتمامها : الملابس والالوان ، والحركات ، ومن شدة اهتمامها في مراقبة الراقصين، اوقعت نظارتها المقربة على الجمع أسفل المقصورة.

وجاءت الضربة القاضية في الجولة الثالثة . كانت قد عافت نفسها قطع الشوكولاتة الراقية المحتوية على شراب كحولي ، التي قدمتها لها " شارون " في علبة ثمينة ، فقدمت بدورها ما لديها ، علبة اشترتها من "سوبر ماركت" تحتوي على قطع لبان بالشوكولاتة ، لم ياخذ منها سوى "تود" . أما " كلاريسا" فقد نظرت إلى العلبة كما لو كانت تحتوي على سم للفئران . ولما كانت " كاثلين" قد امضت الجزء الأول من العرض مركزة فيما تبديه جارتها من تعال عليها ، فقد رات انه عدل قاس من السماء ، ان تكون "كلاريسا" مطلة من فوق سور المقصورة ، في اللحظة التي دفعت " كاثلين" بمرفقها العلبة من فوق السور ، لتتناثر محتوياتها على الجمع أسفل المقصورة . وحين رفع الضحايا الأبرياء وجوههم إلى أعلى مستنكرين وهم يلتقطون ما انهمر على رؤوسهم وطيات ملابسهم لم يكن امامهم سوى وجه " كلاريسا" الشاحب من الصدمة .

وكان من المؤكد أن تغرق "كاثلين" في الضحك ، ولم تنفع لكزات "تود" في كبح جماح قهقهتها . وإلى نهاية الفصل كان سعالها المكتوم يتخلل الصمت المخيم على المقصورة ، والذي تكاد حدة صمته تشق الفولاذ .

وتمادت " كاثلين" قائلة :

- " فلننظر إلى الجانب المشرق من الموضوع . كان من الممكن ان يكون الأمر أسوأ من ذلك " .

- " ليس بإمكاني أن ارى ذلك " .

ولكنه بإمكانها هي :

- " هناك من الحلويات ما هو أشد صلابة من اللبان ، واشد بالتالي وقعا على الرؤوس . على العموم ، اعتقد انه يجب علي الاعتذار للقوم".

ذهبت لتطل من فوق السور ، ولكن يدا سحبتها بحزم إلى الخلف ، لتجبرها على الجلوس مهذبة .

وقالت " اديليد " بتجهم :

- " لا داعي لذلك ، فسوف نقوم انا و " كلاريسا" - بشرح الأمر لهم ، ومادمت انت معنا ، فلن يساورهم شك في ان الأمر حادثة عابرة ، إن نظرة واحدة لك ، تجعلهم يتصورون الأمر على انه شغب صبياني " .

- " إن كلمة شغب مبالغ فيها يا " اديليد" ، وكانت " شارون" هي من انبرت للدفاع عن " كاثلين" ، وليس ابنها : " إنها تعني ان الفعل مقصود ، وانا متاكدة ان " كاثلين" ليست تافهة العقل . وحتى لو لم تكن متمتعة بالحفل ، فهي لن تفسد متعة الآخرين ، فهي تدرك مدى الإرهاق الذي يفعله الممثل بنفسه ليكون عرضه لائقا امام الجمهور " .

ولم يعجب "اديليد" للأسف ان تذكرها "شارون" بنزعة " كاثلين" الفنية، فرمتها بنظرة مرعبة دعتها إلى اللجوء إلى دورة المياه هربا من الجو المتفجر، وطارت وراءها " كلاريسا" و"اديليد" يجتران كرامتهما المكلومة، واتجه "تود" وراءهن ليطلب المشروبات .

ووجدت " كاثلين" نفسها وحيدة مع "دانيال بيشوب" لأول مرة منذ الحفل ، فتوترت اعصابها ، وودت لو تتجه إلى دورة المياه هي الأخرى، لو لم يكن "دانيال" ليرى هذا جبنا منها ، فحملقت إليه .

ورفع يده امامها ، وازرار قميصه الذهبية المربعة تبرق في وجهها هازئة من كمين ناصعي البياض . وكانت بطبعها تمقت القمصان المفخفخة ، ولكنها اعترفت بمرارة ان قميصه اظهر رجولته بصورة ملحوظة .

وقال وهو ينتقل إلى جوارها :

- " لا تلوميني انا ، انا لم انطق بكلمة " فردت محتدة :

- " نعم ، ولكن امك قالت كل ما كان يجول في خاطرك " . وندمت على تسرعها حين تذكرت ما اوقعها فيه تعدها لامه آخر مرة :

- " الا تذهب وتدعم خطيبتك معنويا ، فالكل يتصور انها المسؤولة عما حدث".

- " إنها غير محتاجة إلى ذلك . فلاشك انهم هم الذين سياتون إليها معتذرين انهم لم يقذفوا لها باللبان مرة اخرى " .

وكتمت ضحكتها إذ لم تكن ترغب في ان تشارك "دانيال" "نكتته" ، رغم

دعوته لها بذلك بحركة راسه الساخرة ، فقد كانت دعوة لها لأن تضع راسها في فم الأسد .

فاستطرد حين اصرت على عدم التجاوب "ومع ذلك فلا اعتقد انه من الأخلاق الطيبة ان تسمحي لأحد غيرك بتحمل وزر فعلتك " .

وكانت ضربته ماهرة ، فاندفعت على الفور :

- " لم تكن المسالة مسالة سماح ، فوالدتك لم تدخر جهدا في ان تضعني في مكاني " .

- " وما مكانك يا "كاثلين"؟"

- " اعتقد انكم اتخذتم قراركم في هذا الشان " .

- " لقد فعلت ، وكنت مخطئا"

وفغرت فاها ، وازالت ضحكة "دانيال" عشرة أعوام من عمره ، وبينت له كيف كانت خطورته وهو يمرح في شوارع اوروبا ، فاغلقت فاها بحدة .

- " واعرض ان اصحح خطئي ، وسوف اكون هذه المرة اكثر دقة . فكل ما اعرفه انك شيء كالحرباء ، والمرة الوحيدة التي المح فيها شيئاً من "كاثلين كندون" الحقيقية ، هو حين اخذك على غرة ، وتنسين الدور الذي تلعبينه " .

وتجمدت "كاثلين" :

-" اي دور ؟"

- " اه ، هذه هي الاحجية ، وانا مغرم بحل الاحاجي العويصة ، وماهر جدا في ذلك .

وليست المسالة سوى مسالة وقت حتى اسبر غورك ، فلماذا لا توفرين على كلينا الوقت والمتاعب وتكونين صريحة " معي ، هه ؟ " وذعرت لرغبتها التي تولدت بداخلها ان تسر له بالسر ، أن تسعده ، وتجعله يبتسم لها هذه الابتسامة طوال حياتها .

وابتلعت ريقها :

- " ربما نكون انا و"تود" قد تزوجنا بالفعل ، ونريد ان نكشف هذا السر للأسرة رويدا رويدا " .

وخيب ظنها في بلعه الطعم ، وقال في تخابث :

- " لقد فكرت في هذا الاحتمال ، ولكني بحثت في سجلات الزواج ولم أجد شيئا من هذا القبيل ، ولم يغادر "تود" البلاد لأكثر من عام . وعلمت أيضا أنك لم تولدي في هذه البلاد " ، وجلس نصف جلسة على السور أمامها مشبكاً ذراعيه .

ولم تدهش أن جمع عنها كل هذه المعلومات ، فقد كانت متوقعة شيئا من ذلك، وسألته :

- أراك قد تحريت عني ، هل وجدت شيئا مثيرا ؟ "

- " إذا كنت تقصدين شيئا مشينا . فالأمر يستدعي النظر . فالمظاهر كما تعلمين ، خادعة . إن لك الكثير من الأصدقاء . وتبدلين الرجال بأسرع مما تبدلين ثيابك ، وحصلت على أعمال كثيرة في المسرح ، ولكنك لم تحاولي تسلق سلم الشهرة والثراء رغم مقدرتك على ذلك . "فأنت تسيرين على هواك بلا طموح ، بلا جذور .. ربما لاتزالين متعلقة على ما أعتقد ، بطفولتك غير الآمنة " .

- " احذر يا " دانيال " لقد بدأت تتحدث كمصلح اجتماعي . لقد كانت طفولتي آمنة فشكرا لك " .

- " حتى وأنت لا تعلمين أين ولدت ، .. ومن أسرتك ؟ "

وهزت كتفيها :

- " أعتقد أن الحكومة والإخصائيين الاجتماعيين كانوا أكثر اهتماما مني بمعرفة أصلي وفصلي . إن لدي بعض الصور غير الواضحة لوالدي ، وجدت في الكابينة حيث ذهبا للتنزه بالقارب ، وغرقا معا . لا أوراق أو حافظات نقد . يبدو أنها كانت في القارب معهما وفقدت . كانا باديي السعادة . وحين أفكر فيهما أفكر في السعادة والإشراق وليس في الحزن والهم . وتربيت مدة في أحضان الأسر التي تفتح ذراعيها للأطفال ، وليس بالضرورة اليتامى ، بل منهم من انهارت أسرهم . وربما كنت الوحيدة اليتيمة أحيانا ، الأمر الذي أثار في ذهني الخيالات والأحلام . ربما كنت أميرة روسية ، الوارثة لثروة آل "رومانوف" ، ربما كان والدي من أبطال الحرية . أو الجواسيس ! وكانت بعض الصور قد التقطت في "دبلن" مما يوحي بأن أكون أيرلندية ولكن ذلك لم يتأكد إطلاقا . ومن ثم لم يمكن أن أوهب للتبني ،

خشية أن يظهر من يطالب بي . "

وكان وجهه شاحبا ، ماخوذا :

- " وهل تركوك تحت هذا الوهم طوال تلك المدة ؟ "

- " أوه ، كلا . لم يذكر لي شيء من ذلك إلى أن بلغت السادسة عشر . وكنت قد انتقلت وقتها إلى عائلة ، أعيش معها ، مشغولة بمستقبلي بما لا يدع لي فرصة للتفكير في الماضي . وقد قمت ببعض المحاولات ، ولم أحصل على أكثر مما حصل عليه البوليس ، ولذا حاول أن تفكر أمام من تشمخ بأنفك الأرستقراطي، فربما يجري في عروقي دم ملكي.. "

ورد على تفكهها باستخفاف قائلا :

- "في الغالب دم ملكي أيرلندي " . ولكن عينيه كانتا عميقتي التفكير. " إنك وحيدة - بمعنى الكلمة - في هذا العالم ، أليس كذلك ؟ جزيرة منعزلة في خضم الحياة .. "

وأزعجها هذا التعاطف منه ، فقالت بحدة :

- " قول شاعري ، ولكن ليس ملائما . إن لي العشرات من الأصدقاء ، كما أني أسعد حظا من كثير من إخواني وأخواتي الاعتباريين .

فواحدة منهن عادت إلى أسرتها أكثر من ست أو سبع مرات ، تعود في كل مرة أكثر تحطيما من سابقتها كان والدها يسيء معاملتها ، ولم تكن المسكينة تعلم هل هي تحبه أم تكرهه . وقضى عليها هذا في النهاية " .

وربط الأمور في ذهنه بسرعة مدهشة :

- " أتراها هي من تقمصت شخصيتها في تمثيليتك ؟ "

وهزت رأسها حزينة :

- " لقد كانت المسكينة مشتاقة إلى الحب بكل عواطفها ، وكل ما فعلته من أعمال مشينة كالرقص العاري ، وتعاطي المخدرات ، والانحلال ، كان تعبيرا عن ذلك "

- " هل كنتما قريبتين من بعضكما ؟ "

وهزت كتفيها :

- " لمدة من الزمن . كنا نتشارك الغرفة في آخر سنة لنا في المنزل . ومن هذه الفترة كانت قد بدأت انحدارها " .

- " وقد تعلمت درسا من تجربتها ، فقررت ألا تكوني متشوقة إلى

الحب ؟ الهذا تمسحت بـ "تود" على أساس انه يعطيك الأمان الجسدي، بدون تهديد عاطفي ؟ "

- " سهل عليك هذا القول ، ولكنك لا تستطيع أن تدعي انك و "كلاريسا" في حالة حب ملتهب . فـ "كلاريسا" ليست ملتهبة المشاعر لأي شيء . إنها إنسانة كاملة مجردة من العواطف " .

- " إننا - انا و " كلاريسا" متفاهمان ، ليس لدى اي منا افكار زائفة عن الزواج . اما "تود" فله على ما يبدو أفكاره غير الناضجة عن الحب . وحين يكون الحب من طرف واحد ، يكون لعنة " .

وقالت محتدة :

- " اراك تقول هذا عن خبرة ؟ فامال راسه قائلا :

- " نعم ! "

وحملقت إليه في فضول لا تدري إن كانت قد نجحت في كبته .

ولم يكن لها ان تنزعج ، فقد زاد هذا التعبير ملامحها جمالا ، ولم ير فيه "دانيال" مجرد فضول حقيقي ، ولكن ايضا مشاعر رقيقة تكشف عن نقطة ضعف اخرى تحت ذلك الستار من الاعتداد بالنفس . وبدت له كاجزاء من لعبة إذا فككت ، يصعب تجميعها إلى صورتها الأولى . إنها تهاجم إذا ما اثيرت ، تفضل الخطط الهجومية على الدفاعية ، فكيف يكون رد فعلها على سياسة اكثر رقة ومداراة ؟ كان اكتشاف نقاط ضعفها امرا تصعب مقاومته .

- " لقد كانت هناك امراة .. في "باريس" .. لشهور قبل مصرع "سين" ، ربما كان هذا إيذانا بالتخلي عن الحياة البوهيمية ، لانني ارتكبت شيئا تقليديا للغاية ، وقعت في الحب ، وطلبت من حبيبتي الزواج .. "

- هل كانت جميلة ؟" ، قفز السؤال الذي لامحل له من فمها قبل أن تتمكن من كبحه ، وارتعشت شفتاها .

وتحرك "دانيال" من السور واتخذ مقعد " كلاريسا" :

- " بالتاكيد . وانكمشت " كاثلين" تلقائيا في كرسيها .

- " مثل " كلاريسا" ؟".

- " كلا ، ليست مثلها على الإطلاق " وضاقت عيناه وهو يتامل استيعابها للمعلومة :

-كانت بالأحرى، تشبهك انت". وهزتها العبارة فصرخت بصوت حاد :

- " انا ؟ هل لهذا السبب .. " وعضت شفتيها .

وبدا مسرورا :

- " كلا . اعتقد ان الهياج الذي دار في المكتبة كان انفعالا طبيعيا محضا . اقصد انها كانت لها طباع شبيهة بطباعك ، شيء من العجرفة .. كانت صريحة لاقصى حد ، ومع ذلك غامضة كانت تحتفظ بشيء منها لا تكشف عنه لاي إنسان . ولا تعطي اي رجل ما يحتاج إليه ، ويريده . وكان الوقوع في حبها يجعلني في حالة مستمرة من الانفعال ، وعدم اليقين . شيء رائع ، ولكنه مجهد. وارى الآن انها لو تزوجتني ، لكان الأمر طامة كبرى .. لقد كنت على استعداد للتغير ، اما " إلزا " فلا . كانت متمتعة تماما بالحياة الطليقة التي كنا نحياها ، وكانت ستمقت الإقامة هنا . وحين سمعت انني عائد لتحمل مسؤوليات المصرف ، انتابهاالذعر . وكانت فكرة الاستقرار ، وتحمل المسؤولية ، تثير الذعر في نفسها . وكانت تطلق على دنيا الأعمال المصرفية الأبراج الاستعمارية . لقد كانت اوروبا بالنسبة لي مجرد لهو شباب " ثم فرد كفيه :

- " هنا الحياة الحقة ، إلى هنا انتمي ، وهنا جذوري . إن ما املكه هنا هو ما كنت اتوق إليه دائما ، وكنت اعتقد انه بإمكاني ان اتملكه " وقالت له حين تملكته الذكرى :

- " كنت تطلب اكثر من "إلزا" على ما يبدو . ربما لم يكن حبك لها بالقدر الذي كنت تظنه انذاك " .

- " اوه ، بل كنت واقعا في الحب . بل لقد عرضت حلا وسطا في مرحلة ما . وحمدا لله أن كانت من الحصافة فتعلم انه لم يكن ليفيد ايامنا . واعلم انه لم تثر امراة ما ما اثارته هي في نفسي " .

وسالته ، مرتعدة قليلا لوقع العبارة على نفسها :

- " اكان هذا شعورك ؟ "

- " همم " وسرى تاكيده هذا في أوصالها " ولا تظني نفسك محصنة ضد هذا يا " كاثلين " ، لمجرد انك لا تودين ان يحدث " .

ورمشت ، وقالت بصوت أجش :

- " وكيف تعلم أن هذا لن يحدث لك مرة أخرى ؟ أتتوقع من "كلاريسا" أن تحصنك ؟ "

- " لقد بلغت من العمر ما يجعلني أحصن نفسي . لقد تخطيت مرحلة شبابي العنيد المندفع . فالإنسان يتعلم من أخطائه . إن لي في هذه الأيام متطلبات أكثر نضجا ، وقد كانت "إلزا" خيال شاب صغير السن " .

- " وماذا عن " كلاريسا" ؟ خيال رجل في منتصف العمر ؟ كان سؤالها لاذعا . إذن فـ "دانيال" يتصور نفسه قد تجاوز مرحلة الحب ... يا للأسف !

- " ستكون زوجة و أما تشبع كل رغباتي " .

وتصلب جسدها .

على الأقل سوف أتأكد معها أن أبنائي هم حقيقة من صلبي " .

نظرت إليه مذعورة :

- " أتظن أن "إلزا" .. أقصد ، هل كانت .. غير مخلصة؟"

وابتسم فجأة ، ابتسامة أشعرتها أنها ساذجة بقدر كبير :

- " إن الكلمة لا معنى لها في قاموس حياتها .لقد كانت روحا متحررة . لقد كنا عشاقا ، ولكن لم يكن لي عليها أي سلطان ، وكان هذا هو محور التحدي في أن أحبها .. الصراع المتواصل لأن أكون محور اهتمامها " .

وقالت بحدة وعيناها تشعان كراهية :

- " إنها أقرب إلى فاجرة لا قلب لها في نظري ، لا تستحق بالتأكيد أن يحزن المرء من أجلها . ولا أكاد أصدق أنك أحببتها بصدق من البداية . فلست أراك من نوع الرجال الـ ... اللامبالين . ولا يمكن أنك كنت ستسمح لامرأة كهذه أن تنغص عليك حياتك " .

- " لقد وعدت نفسي أن أعيش سعيدا منذ ذلك الحين " وفي الضوء الخافت للمقصورة ، رأت وهي تضيق عينيها ناظرة إليه ، سرورا خفيا على ملامحه .

- هل تخدعني يا "دانيال بيشوب" ؟ هل تملأ رأسي بالأكاذيب من أجل أن ..."

- " أرقق قلبك ؟ أتلاعب بعواطفك ؟ "

- " نعم ! " .

- " وهل نجحت ؟ "

قالت محاولة أن تستعيد الأرض التي خسرتها :

- " بالتأكيد لا ! إذن فقد وقعت في حب امرأة فاسدة ؟ "

ورد بجفاء :

- " وقتها كان الأمر كذلك فعلا ! " .

وتلعثمت قائلة :

- " إنك إذن .. أتعني .. أكان كل ذلك حقيقة ؟ "

- " كل كلمة فيه "

- " ألم تكن تحاول أن تستدر عطفي ؟ "

- " بل كنت أحاول ، ولكن بالحقائق لا بالأكاذيب " .

وأخذت تقاوم مشاعرها المتضاربة :

- " أوه ، لكم أنا أسفة " ثم أكملت ، مظهرة حقدها :

- " أقصد ، بالنسبة لـ"إليزا" .

ورد في بساطة مغيظة :

- " ولكني لست كذلك . بل إني أتمتع برؤياك تتحرقين أسفا على شبابي التعيس " وأخذ يجيل النظر فيها من أعلاها إلى أسفلها ، فاضطرت إلى الرجوع إلى الخلف في عصبية ، وقالت له محذرة :

- "دانيال" ... "

وتململ في جلسته ، ورفع حاجبيه فوق عينيه الفضيتين الباردتين:

- " لا تخافي يا " كاتلين" لم يعد لدي شيء أثبته لك هذه الليلة " .

وتصلبت ، ثم أطاحت بشعرها إلى الوراء قائلة :

- " إنني لا أخافك ، بل المفترض أن العكس هو الصحيح " .

وضيق من عينيه وهو يبتسم لنفسه ابتسامة حائلة ، وغمغم :

- " ربما كنت على حق " .

ثم تحول مجرى الحديث بعد ذلك إلى موضوعات غير شخصية ، مزيحا عن نفسها توترها ، من الأوبرا إلى نوعية المسارح التي زارها في أوروبا وأمريكا . وتمتعت "كاتلين" بغزارة معرفته حين تطرق

www.liyromantic.com

الحديث إلى عملها المتواضع ، وافتقارها إلى الطموح .

وقالت له " كاثلين" بروح مرحة :

- " لو كان لكل الناس طموحك ، لأصبح الجميع قادة بلا مقودين . إن أقصى طموحي هو عمل اكتسب منه وأتمتع به " .

- " لقد قال لي "تود" : إنه عرض عليك الظهور بصفة منتظمة في برنامج تليفزيوني نقدي " .

- " نعم ، ولكنه لا يساوي انتقالي عدة مرات كل أسبوع إلى مدينة "ويلنجتون" من أجل الهراء الذي يقدم للعامة " .

وضحك :

- " لقد كانت وقاحة مني فعلا ، فانا استمتع بالبرامج فعلا . إنما قلت ذلك لأنك تحرميني من نصيبي من الأخبار المالية على الفطور " .

- " اعلم ذلك " .

وابتلع الاعتراف الذي قالته معتدة بنفسها ، وقال :

- " حسنا . هل نعقد هدنة بعد الماضي التراجيدي بيننا ؟ إنني بالفعل محتاج إلى الجريدة لأستطيع متابعة الأحوال المالية قبل ذهابي إلى المصرف".

وهزت رأسها غير متاثرة باستعطافه :

- " ليس بعد أن بدأت أتعود على هذه الموضوعات " ورأن الشك على وجه "دانيال" وسأل :

- " احقاً ؟ "

- " آه ، فعلا " . وكانت قد تولدت لديها رغبة القيام ببعض الاستثمارات فعلا.

ولمحت عينين خضراوين تبرقان من المشى وراءه ، فتولدت في نفسها رغبة خبيثة فجائية ، فارتمت على ذراعه بصدرها ، وهمست :

- " أواه ، لكم أحبك أيها الرجل الوسيم " .

ومطت شفتيها على مسافة قريبة من فمه ، واختلطت في نفسه الدهشة بالرغبة ، وغمغم :

- " ما هي لعبتك الآن بحق السماء ؟ " .

ثم ما لبثت " كلاريسا" أن توسطتهما في ازدراء بارد :

- " هذه الرغبة منك يا " كاثلين" لتلفتي الأنظار باي ثمن امر مثير للضجر حقا . وأخشى أن يكون أمامك الكثير لتعلميه عن رجال آل "بيشوب" . لقد كان "دانيال" هدفا للطامعات دائما ، أما إذا كان هدفك هو إثارة الغيرة في قلب "تود" ، فقد أخطأت مرة أخرى . لقد عاد الشاب المسكين أدراجه ، لا يبدو عليه أثر للغيرة . "

www.elromancia.com

www.elromancia.com

الفصل السابع

- " قلدي السيد " بيشوب" مرة أخرى يا "كاثلين" ، لقد كنت رائعة في تقليده إلى درجة .. "

- " أخشى أن تكون مضطرا الآن أن تقنع نفسك بالأصل الباهت يا سيد "كوليزون" " . وسرت رعدة في المجموعة الصغيرة تجمدت لها أطرافهم ، ثم بدءوا يتسربون بالتدريج ، تاركين مستر "كوليزون" المسكين واقفا بجوار " كات" .

- " مستر بيشوب" "ورأت أمام عينيها الشاب المرح يتحول إلى تلميذ مرتجف وقال له " دانيال " بابتسامته الكسول :

- " كنت أتصور أن حصولك على فترة أطول من الراحة تعني أنك قد جهزت الأرقام التي طلبتها منك منذ ساعة ؟ "

- " آه .. كلا ، ليس بعد .. السيد "بيشوب" " وأخذ الشاب المرتبك ينسحب ببطء إلى مكتبه :

- " أنا .. إلى اللقاء " كاثلين" .. آنسة " كندون" .. آه .. سأجهز الأرقام حالا، السيد "بيشوب" " .

وقال "دانيال" برقة :

- " فلنفعل " ثم استدار وقال في صوت قاطع :

- " " كاثلين" ، سوف اراك في مكتبي الآن " .

وكان قد وصل الناحية الأخرى من الغرفة قبل ان تجد هي صوتها :

- " إذا اعدت هذا القول بصورة اكثر ذوقا ، فسوف افكر فيه " .

وانكبت الفتيات الأربع على الفور على آلاتهم الكاتبة ولوحات الكمبيوتر امامهن ، وجميعهن كن يحبسن انفاسهن ، بينما " دانيال " يستدير ببطء ويقترب منها ، على وجهه علامات التهديد :

- " لقد كان هذا طلبا . اما رجال الأمن فقد يكون لهم مسلك آخر اقل ذوقا حين يلقون بك خارج المؤسسة " .

واحتدت عليه في شجاعة :

- " اتخشى ان تواجهني بمفردك ؟ "

- " لست اخشى ، ولكن لا اريد . لقد اخذت حمامي بالفعل هذا الصباح ، وسيكون مضيعة لوقتي الثمين ان اقوم بذلك مرة اخرى . والأفضل ان يتولى عني احد إلقاء النفايات بالخارج " .

وشهقت الفتيات في هلع - فهو دائما في غاية الأدب معهن ، حتى في حالات غضبه - وهن يشاهدن بركان الغضب يتفجر من عيني " كاثلين" الذهبيتين ، رباه ! لكم هي رائعة الجمال حتى وهي في ثورة غضبها . لقد كان الأسبوع الثاني من إقامتها في بيته مثيرا للبلبلة اكثر من الأسبوع الأول . وكانت "اديليد" قد غيرت تكتيكها ، فارهقت المنزل بسلسلة من الارتباطات الاجتماعية المتتالية ، ولكن "كاثلين" بدلا من ان تشنق نفسها بهذا الحبل ، استخدمته لتزيد من عدد من قيدتهم به . فقد كانت تزداد تالقا وجاذبية ، خالبة لب النساء والرجال على السواء ، ورأى "دانيال" امه تضرب اخماسا في اسداس كما لم يرها من قبل طوال حياته .

واستدار داخلا مكتبه ، تاركا " كاثلين" ومرجل غضبها . وكان يشك فيما عساه يكون سبب زيارتها ، او على الأقل يعتقد انه يعرفه .

ودخلت وراءه غاضبة ، واتجه هو ليجلس وراء مكتبه الضخم ، الأنيق ، تاركا إياها تتململ على السجادة الرمادية كمستخدم تملكته

العصبية .

وقالت محتدة :

- " غاية في المهارة ! "

فوافقها بصوت ناعم :

- " اظن ذلك . والآن " كاثلين" ، لمن انا مدين بهذا التشريف منك لي .. مرة اخرى ؟ اعتقد انك اضعت من وقت "تود" ما يكفي حين اصررت على ان ياخذك في جولة في ربوع المؤسسة، وامتعت المستخدمين بالاعيبك".

- " لو كنت تدع فرصة له للتحرر من برجك العاجي الذي تقيده فيه ، لما اضطررت إلى اقتحام ابواب المؤسسة في اثناء ساعات العمل لاحادث الرجل الذي ساتزوجه . "

والقت بنفسها على كرسي اصفر بلون الزبد " على العموم ، إنني الآن هنا لرؤياك انت " .

- "ممتع للغاية. ساهبك خمس دقائق قبل ان انشغل بالموعد التالي".

قالت في صوت ساخر :

- " لن يستغرق الأمر كل هذا . لقد جئت فقط لاخبرك عن بعض الفواتير التي سترسل لك هذا الشهر ." ووضعت امامه رزمة كبيرة من الإيصالات " .

- " لقد اتصلت بي "ديانا" هذا الصباح ، ودعتني ان نذهب لشراء بعض مستلزمات حفلة الزفاف " .

وبدت مرحة وهي تنظر إلى تعبيرات وجهه وهو ينظر اول البنود المشتراة . وبدا يقلب الإيصالات والغضب بداخله يتزايد : " إنني اكره الشراء ، ولكن انت تتذكر بالتاكيد حين اقترحت علي اختك ان تخلع عني صورة ... ماذا قلت بالضبط ؟ " ومثلت انها تبحث عن الكلمة في اعماق ذاكرتها " .. آه ، صورة ابنة جامع النفايات .. حسناً يا"دانيال"، من المحتمل فعلا ان يكون جامع نفايات ، ولكن...."

وقطع كلامها انفجار مدو :

- " بحق السماء ، كيف تنفقين كل هذا في يوم واحد ؟ اتدرين ما مجموع كل هذه الإيصالات ؟ " .

وقالت في تلعثم متلذذة بثورة غضبه :

- " كلا ، ابدا ، لا ادري حقيقة ، لقد كان الأمر ممتعا لدرجة انه ربما نكون قد تجاوزنا الحدود قليلا ". وكانت عالمة بالتاكيد لآخر "سنت" كم انفقت . وبصرف النظر عن دافع الانتقام ، فقد كانت "ديانا ركس" نفسها مولعة بالشراء .

وكانت علاقتهما تزداد توطدا بهذا التقارب الذي شعرا به عند اول لقاء بينهما ، رغم الضيق الذي انتاب والدتها لذلك .

- " قليلا ؟ اتقولين قليلا ؟ " واندفع كرسيه للوراء وهو يهب على قدميه ، مشيحا في وجهها بقبضته القابضة على دليل تبنيرها :

- " اتسمين ستة عشر زوجا من الاحذية الإيطالية تجاوزا قليلا ؟ ومع كل زوج حقيبة تناسبه ؟ وثلاثة انواع من الفراء ؟ إن هذا ليس طمعا ، بل هو فحش ! لماذا لم توقفك " ديانا " بحق السماء .... "

وارتعش صوتها وهي توبخه :

- " " دانيال " ! لا اظنك تعتب علي ، فقد كنت انت من قال لها إنني يمكنني ان اشتري ما يروق لي ، وليس لها ان تتدخل إلا في موضوع الذوق فقط ، إنك لم تحدد حداً اقصى للإنفاق .. " .

وقاطعها راعدا :

- " لم اكن اتصور اني محتاج لذلك ! " وغشت وجهه غشاوة مظلمة :

- " ايتها المبذرة مصاصة الدماء ، إن هذا يزيد عن مشتريات "اديليد" و"شارون" في ستة اشهر ، معا ، ولم اكن اتصور على الإطلاق ان .. "

واطبق فمه على بقية غضبه ، مستديرا ليداري وجهه المريض حنقا .

إذن فقد كانت " شارون" على حق . لقد تغلبت أم "تود" اخيرا على طبيعتها الوجلة وبدات تظهر لها الود وإذا كانت صداقتها بحكم الظروف ، اقل علانية ، فهي لم تكن اقل قيمة . وقد شاركت في مهمة الشراء الصباحية ، وكان لها الفضل في الكشف عن دوافع "ديانا" الخفية في اقتراحها ، فكانت قد تصرفت بدافع من كبريائها بصورة سلبية عند اول محل دخلوه في مواجهة تشجيع "ديانا" لها انها يجب الا تهتم بالاسعار طالما اعطاهن "دانيال" كارتا ابيض للشراء . ولكن تكرار "ديانا" لعبارات "دانيال" بخصوصها ، اقنعها اخيرا بالاستجابة لإغرائها . وابتسمت النسوة الثلاث ابتسامة شريرة وهن يدخلن المحل .

واستدار لها "دانيال" من النافذة ، وكانت متحفزة لتزيد من اتون غضبه ، ولكنها ابتلعت فوزها على الفور ، حين وجدته يبتسم لهاابتسامة سانجة ومرعبة، اطلقت كل انوار التحذير بداخلها .

- " هل تتناولين الغذاء معي ؟ "

واندفعت ثائرة :

- " اتمزح ؟ بعد الأسماء القبيحة التي رميتني بها ؟ "

وازدادت ابتسامته اتساعا :

- " لقد تولد إحساس لدي انك تستعذبين إغاظتي ، ولكني اعتذر لو كنت مخطئا في ذلك . وقد خطر بذهني انك لابد ان تكوني جائعة بعد كل ما بذلت في اثناء الشراء " .

وكانت تتضور جوعا بالفعل ، ولكنها اعتبرت الاعتراف بذلك نوعا من الضعف .

- " لا اتصورك تدعوني للتمتع بصحبتي ، ماذا حدث لأعصابك الثائرة ؟ ام تراك تنوي ان تدس لي السيانيد في الطعام ؟ "

ودس يديه في جيبيه ، ومشي متعاجبا إلى المكتب حيث جلس على حافته ، يمتع ناظريه بمحياها الجميل المتحير ، وقد انفجرت شفتاها من الحيرة ، يقاوم الرغبة ان يهوي عليهما بفمه .

وسالها :

- " اهذا الزي من الأشياء التي اشتريتها ؟ " .

- " هذا ؟ " ونظرت إلى الـ " تي - شيرت " البسيط ، والذي جملت بساطة شكله بالوشاح الذي لفته حول خصرها . وبينما هي تحت صدمة السؤال ، دار وقلب بهدوء بطاقة اسم الصنف من قفاها ، وكان صنفا من الملابس الشائعة. وقال لها وهي تحاول ان تجفل بعيدا عنه:

- " نادر من النساء من ترتدي لباسا شعبيا بعد شرائها ملابس فاخرة لارقى بيوت الأزياء ، تساوي آلاف الدولارات . لماذا جشمت نفسك كل هذا ، طالما كنت بإمكانك الوصول لما تريدين بمجهود اقل ؟ "

- " ماذا ... اللعنة ! " وتذكرت عينه التي لا تخطئ في تقديرها .

- " اقول لك لماذا يا " كاتلين " " وكان صوته غاية في النعومة : " لان هذه الفواتير لا تساوي الورق الذي كتبت عليه . فليس لديك النية

لارتداء أي شيء من ذلك . لقد أتيت إلى هنا لإلقاء عود ثقاب ، ثم التمتع بالألعاب النارية وأنا أتصرف ببلاهة أمامك . ولكن ماذا ستفعلين بكل هذا بعد ذلك ؟ هل سترمين بها في وجهي ؟ "

وردت في تعال :

- " لست أدري ما الذي تتكلم عنه ؟"

- " هل معنى هذا أنك ستحتفظين بما اشتريته اليوم ؟ " .

وقالت بزهوة انتصار :

- " بالتأكيد " وكان لجؤوها للكذب لتمسح عن وجهه هذه الابتسامة الواثقة ، لاعنة إياه على حدة ذكائه .

- " أوه ، حسنا ، على الأقل لقد علمت الآن مدى شراهتك ، وساكون أكثر حرصا فيما بعد . على الأقل لن أخشى بعد الآن أن أقدمك لمعارفي ، فلن يكون مظهرك كابنة جامع نفايات في هذه الملابس الجديدة .. "

وتجاوز غضبها حدود تظاهرها ، فهبت ثائرة لتحرز شيئا من نصرها :

- " أيها الحقير ، إليك الآتي لتضحك عليه . إن هذه الملابس في طريقها الآن لجمعية خيرية ، مع التوصية ببيعها في مزاد علني لصالحها " .

ولم يزل هذه الابتسامة من على وجهه ، إلا ليحل محلها إعجاب غاضب .

- " وهل تتجشمين كل هذا العناء ، لتلقني أحدا درسا ؟ لكم كنت أتمنى لو وجد في مجلس إدارتي بعض الأعضاء بمثل قسوة قلبك . ما رأيك في السمك المدخن وفاكهة الأفوكاتو؟ مع المشهيات والفراولة بالكريمة ؟ ومع الشراب احتفالا بأريحيتك ؟ "

وأسال الإغراء لعابها وواصل هو :

- " لقد آن لنا أن ننهي هذه اللعبة السخيفة " .

وبرقت عيناها وهي تفتحهما بشدة له :

- " لعبة ؟ "

قال :

- " لعبة النزاع حول السيطرة الرجولية . قد تصدقينني أولا ،

ولكني أهتم بمصالح ابن أخي "تود" بكل قلبي . وربما لو فهم كل منا الآخر بصورة أفضل، لوجدنا أساسا مشتركا لحل وسط .. " وكان في هذا كاذبا ، فهو يعلم من أيام "إلزا" أنه لا يقبل الحلول الوسط ، ويريد النجاح كاملا غير منقوص . وفي الوقت الذي خرجت فيه "إلزا" بكرامتها سليمة لم تمس - من علاقتهما معا ، كان يعاني هو المهانة ، فقد كان على استعداد للتضحية بمبادئه وعزة نفسه من أجل وهم خلقه هو بنفسه . وتعلم من وقتها ألا يقدم التنازلات ، وأن يتحكم هو في أحلامه وليس الضد .

قالت متهربة :

- " سوف .. سوف أذهب لرؤية "تود" " .

- " ولكنه لن يتمكن من رؤيتك ، فهو ليس هنا " ولم يخف سروره بذلك . ومد يده لجهاز الاتصال الداخلي ليعطي تعليماته بتأجيل مواعيده ، ثم ليطلب خطيبته .

- " كلاريسا" ؟ فلنؤجل موعد الغذاء .. لا ، لم أنس .. الثامنة مساء نلتقي " .

بكل هدوء ، وبرود ، كما لو كان يؤجل موعدا مع طبيب الأسنان . وسألت "كاثلين" في دهشة :

- " ألم تسأل حتى عن السبب ؟ "

- " بل . إن الأمر لا يعنيها " ، وسرت في جسدها رعدة لهذا القدر من التفاهم بين الخطيبين . لا غرو أن يشعر "تود" بعدم الرضا ، ومع ذلك فلم تفهم كيف للرجل الذي واجهها في المكتبة أن يقنع بمثل تلك العلاقة الباهتة . وإذا كان قد أدار ظهره للحب ، فماذا عن العاطفة ؟ إنها لن تنبع من ذلك الخواء الذي يجمع بين "دانيال" و" كلاريسا" ، وتصاعد فضولها رغما عنها دافعا لها أن تقول :

- "حسنا ، سأتي للغذاء معك ، شريطة أن يكون في أرقى مكان بالمدينة " . وليكن هذا أمانا لها لو تطورت الأمور بينهما ، حيث لن يغامر بإشعال أية مواقف سوقية .

وغمغم :

- " لا يمكن أن أدعي أنه أكثر الأماكن رقيا ، ولكنه بالتأكيد أكثرها

خلوة".

اتسمحين بالانتظار في المكتب الخارجي ، سوف اجري مكالمة ، ولن استغرق وقتا طويلا .. ؟ . "

واتضح أن اكثر الاماكن خلوة هو شقته اعلى المصرف . وكان تمنعها سيبدو نوعا من النفاق فهي تموت شوقا للتسلل إلى وكره الخاص ، اتراه يحمل مظاهر الابهة والفخامة كمصرف "ركس - بيشوب" ، أم ملامح متحف للآثار لمنزل اسرته ؟ " .

ولم يكن يشبه ايهما . كانت شقة انيقة راقية الذوق توحي بالدفء والاسترخاء. ولم تتمالك دهشتها وهي تتجول معجبة في ارجائها الفسيحة ، التي تطل من خلال شرفة علوية رحبة على منظر خلاب للمدينة وهتفت :

- " لكم انا معجبة بها " .

ورد عليها ببساطة وهو ينزع عنه سترته ، ويفك ازرار صديريه :

- " شكرا لك " .

واخذ يرقبها وهي تتجول في ممراتها بساقيها الطويلتين ، ومشيتها الرشيقة، تبدي إعجابها بمقتنياته في فضول لطيف !"

- " لقد كنت اتوقع نوعا من شقق العزاب الاشبه بنوافذ عرض المحلات " .

واعترفت له بذلك وهي تتحسس النعومة الفائقة لاحد المقاعد الوثيرة .

- " إنني لا اقضي اوقات لهوي هنا ، إنما آتي هنا لاريح اعصابي ، او حينما اعمل مساء او في امور فائقة السرية " . مدد ساقيه ليريحهما بعد طول انكماش تحت مكتبه ، ولمح في اثناء ذلك نظراتها المختلسة معجبة بعضلات صدره تحت القميص القطني ناصع البياض وعضت شفتها على الفور مسدلة جفونها .

والتفت عنها ليخفي تاثير ما اكتشفه على نفسه إنها راغبة فيه بقدر ما هو راغب فيها ، ويمكنه ان يستغل ذلك في إبعادها عن "تود" بحجة بسيطة ، انه يريدها لنفسه ، وهو عالم بان السبب ليس بهذه البساطة .

وسالها من فوق كتفه :

- " اتريدين شرابا ؟ كلا ؟ إذن فساذهب لاعلم السكرتيرة باننا هنا ، واحذرها انه لا يوجد هنا سوانا . خذي راحتك ، الحمام إلى اليسار " .

ولم تكن بحاجة لمن يدعوها أن تاخذ راحتها ، إذ اخذتها بالفعل فور دخولها وإعجابها بالجو المحيط بها . واتجهت سائرة على السجادة الوثيرة لتشاهد الواحة الغنية بالخضرة في الشرفة . بما فيها من اشجار بالحجم الطبيعي تحافظ على حجب المكان عن المباني الشاهقة المقابلة واصص من السيراميك للزهور والشجيرات ، ثم مساحة مشيد بها نافورة صغيرة تتراقص مياهها امام قطع اثاث ابيض ذي طراز مناسب للحدائق .

- " سارحة بخيالك أن تطئي عارية القدمين نجيل شرفتي ؟ " والتفتت لتراه حاملا دلوا مليئا بالثلج وبه قنينة الشراب ، وكاسين .

- " اهو نجيل حقيقي ؟ "

- " بالتاكيد ... "

وفتح القنينة يصب منها :

- " انا لا اقنع إلا بكل ما هو حقيقي " .

عدا زواجه ! ودت لو تواجهه بذلك، ولكنها لم ترد ان تنتهك الهدنة بينهما ، ولذا فقد قامت بسحب الباب المنزلق ، وخرجت للشرفة ، وكان النجيل رطبا مخمليا تحت قدميها الملتهبتين .

ووقف "دانيال" يتاملها متكئا على الباب ، يرتشف كاسه ، وبدت امام عينيه طفلة بريئة حركت في نفسه نزعة مفاجئة ان يكون لها الحامي الذي يقيها كل سوء ، ولكنه نبذ عن راسه هذه الفكرة ، فهي قد بدات بما لا يدع مجالا للشك انها قادرة على ان تهتم بامورها بنفسها .

- " اترى انه يمكننا .. ان نتناول الغداء هنا ؟ " واشارت لمنضدة تحت مظلة ، مواجهة للنافورة .

- " لست ارى سببا يمنع من ذلك " .

وكان غداء طويلا ، تناولاه على مهل ، وكانت كل قضمة منه شهية كما وعد "دانيال" بالضبط ولم تكن الصحبة اقل متعة . كانت "كاثلين" تتناول الطعام مع رجل غريب عنها ، فاكهها وغازلها وبهرها واطلق

www.elromancia.com

ضحكاتها . واحد يدعى "دانيال" تمثل لها ساذج الرومانسية لم يحاول ان يذيقها إحدى تعليقاته التهكمية التي يجيد استخدامها . وظلا بمنأى عن الموضوعات الخطرة ، وامتعته هي بوصف الجولة الصباحية المنهكة التي جالت فيها في عالم جديد تماما عليها .

وتمتعت هي باخذه الموضوع بسماحة حتى انها لم تلاحظه حين ضيق من عينيه ، حين اخبرته ان " شارون " ايضا قد شاركت في المؤامرة الخبيثة .

- " بل لقد كانت في الواقع اسوأ من "ديانا" ، حاولت تشجيعي على ان اقتحم دنيا الجواهر ايضا ، ولكن كان علي ان اضع حدا لنفسي . اتظن انهما تحقدان عليك يا "دانيال" " .

وابتسمت له :

- " لقد كانتا متحمستين بشدة ان تبددا اموالك " .

وغمغم هو بجفاء :

- " إنك ساحرة يا " كاثلين" ، اليس كذلك ؟ اتصور انه في المرة القادمة ساجدك قد ضممت " اديليد " لصفك ايضاً . "

واغرقت في الضحك :

- " لا اعتقد ان هناك اي خوف من هذا " .

- " همم ، إنك تترفعين حتى من مجرد المجادلة مع والدتي ، اليس كذلك ؟ ومع ذلك ، فإني اراها بصورة ما تحترم فيك عدم مجادلتها في آرائها ، ايضا إصرارك على العمل ، رغم المعيشة الرغدة التي يسعد "تود" بان يغمرك فيها " .

- " لماذا إذن اثارت كل هذه الضجة حول هذا الموضوع ؟ إن العمل في مطعم "جينو" هو الرباط الذي يربطها بالدنيا الواقعية لتتجاوز الشرنقة الحريرية من الثراء الذي يحيط بها الفترة الأخيرة، وايضا بدعم مركزها المالي- رغم انه تحسن قليلا بتوفر نفقات المعيشة فترة ضيافتها على آل "بيشوب" - بما يمكنها من تحمل الفترة إلى ان يتاح لها العمل في المسرح في الموسم القادم، والذي يتبقى عليه عدة اسابيع

وكان الجدل قد ثار حاميا بينها وبين "تود" حول إصرارها على ان تاخذ نوبة عمل ليلية بدلا من نادلة مريضة ، ورأى "تود" ان ذلك سوف

يسيء لصورتها كطفيلية غانية، ولكن " كاثلين" لم تتزحزح فـ"جينو" في حاجة لها ، وكل من استاجرهم في الماضي كعمالة مؤقتة كانوا بين قليلي الخبرة وعديمي الأمانة، والصديق القديم اولى بالمعونة من الصديق الجديد، وسوف تمد له يد المعونة، وقضي الأمر...

وقال "دانيال" بجفاء :

- " اعتقد ان السبب هو طريقتك في الإعلان عن ذلك . " كان ذلك خلال عشاء من حفلات العشاء الرسمية لـ " اديليد" وكان قد بدأ متاخرا ، فلم يقدم الحلو إلا في الحادية عشرة ، وتناولته " كاثلين " على عجل ثم اعلنت ان عليها ان تكون في العمل خلال ساعة واحدة واشبعت فضول الحاضرين المصدومين بتوضيح انها تعمل نادلة في مطعم طوال اليوم، ثم زادت بقولها :

- " كما اني اغسل الأطباق احياناً " . واتجهت الأنظار على الفور لـ اديليد" متسائلة ، وبعد عشرين دقيقة ، كذبت " كاثلين" ادعاءها بانها كانت تمزح بان ظهرت للجمع تودعهم وفي زيها : تنورة سوداء قصيرة، وجورب اسود ورداء علوي ابيض يظهر قوامها الفتان . وكانت " اديليد" لا تزال تدفع عن الحاضرين فكرة ان ضيفة الأسرة ، والمرشحة لأن تكون احد اعضائها ، تكدح مقابل لقمة عيشها وقالت " كاثلين" بدون شعور بالندم :

- " حسنا ، لقد كان يجب ان تعرف يوما ما ، اليس كذلك " على الاقل فقد هدأ ذلك من ثائرة "تود" ، حين رأى ما انتاب امه من غضب . كما ان "دانيال" ابدى بعض التعليقات حين التقيا بعد ذلك ، ليس حول عملها ذاته ، بل حول تعارضه مع الواجبات الاجتماعية التي تكبلها لها "اديليد" نهارا ، وعن الزي الذي ترتديه ، وعن سيرها في الشوارع ليلا كقطط الليل . وردت عليه " كاثلين"، تشجب فيه عجرفته ، وان ما تلتقطه من سويعات نوم في اثناء النهار تكفيها ، وانها تاخذ كفايتها من زبائن المطعم المغازلين ، وان ابن "جينو" الأكبر الضخم مفتول العضلات يهتم بامرهم . كما ان "جينو" بنفسه يتصرف مع من يضايق إحدى العاملات لديه ، وإن كان كثيرا ما لا يضع يده عليهم .

- " إنك لا تعلمين لأجل العمل يا " كاثلين"، بل لإثبات بعض آرائك

www.elromancia.com

اللعينة " ثم قال محتدا :

- " كان المفترض ان تقضي هذا الصباح نائمة ، وليس في التجوال بين المحلات " .

وفتحت فمها تريد رداً ، ولكنها انفجرت ضاحكة :

- " لقد كانت فكرتك انت " .

وعبس لها وقال :

- " لقد هزل جسمك " قالت :

- " علي ان افقد بعض ارطال "

- " لا احب ان تعملي هناك " .

وواجهت تحديقه بهدوء :

- " مستحيل " .

وزمجر قائلا :

- " اعتقد انني لو امرتك بالبقاء في العمل ، فسوف تتركينه " فابتسمت له قائلة :

- " ارجو الا تكون ردود افعالي سهلة التوقع هكذا " .

- " اطمئني ، إنك لست كذلك على الإطلاق " .

ولما رات المرح يعود لعينيه ، سارعت تغير الموضوع ، فسالته عن الوقت ثم علقت على ساعته الذهبية الانيقة ، وسايرها في ذلك ، ثم اخذها لترى غرفة مكتبه، حيث لا يتجرا إنسان ان يطاها بدون وجوده، لدرجة انه ينظفها بنفسه.

وفتنت به في سرها حين تحول ليريها بعض مقتنياته من ساعات ومنبهات ، ويشرح لها بعض اجهزة الحركة المفككة التي كان يصلحها. وتحول خجله إلى حماس صبياني حين راى ان اسئلتها تنبع عن اهتمام حقيقي ، وليس مجرد مجاملة ، على نقيض الكثير ممن راوا هوايته التي تاسره . وتاثرت مشاعرها له حين راته ليس بالإنسان المنغلق على نفسه الذي راته اولا ، بل إنه متعطش لمن يشاركه حماسه وفضوله تجاه الأشياء الجميلة التي يفكها ويركبها . إنه محتاج لمن

هي مثل "كائلين" تفجر عواطفه ! ومن سخريات القدر ان يمضي بهم الوقت سريعا حتى يكتشف فجاة ان عليه ان يهرول للحاق بمواعيده المؤجلة ، ولكن ليس قبل ان يقبلها قبلة لا هي بالملتهبة ، ولا هي رقيقة اخوية ، ولكنها شيء بين بين . كانت قبلة سلام واستكشاف ... وتوقع.

www.elromancia.com

www.elromancia.com

الفصل الثامن

- "كات" ، هاي ، "كاتالينا" ، استيقظي انت هناك . المائدة رقم ٤ لاتزال تنتظر الماء المثلج . ماذا بك ؟ . هل انت بخير ؟"

- "هه ؟" واختلجت عينا "كات" أمام الأصابع التي تطرقع امام وجهها . وكانت "انجي" ابنة "جينو" المراهقة ، تنظر إليها باهتمام وقد أحاطت بهما اضواء واصوات وروائح المطعم :

- "اوه ، .. بالتاكيد .. مجرد تعب بسيط على ما اظن" .

ولم تكن كاذبة ، ولكن العبارة كانت مخففة بقدر كبير ، فقد كانت محطمة من الإجهاد ! كم كانت غبية في توقعاتها بعد الغداء الحالم ! فبعد أول لقاء لها مع "دانيال" ، كان قد عاد مستر "هايد" مرة اخرى ، ينزل عليها جام غضبه . حمدا لله أن وجدت لها "فرايا" ثقب إبرة في مسكن صديقتها ، وسوف تذهب لتنكمش فيه بعد نوبة العمل هذه ، لتنام ملء جفنيها عن متاعبها . إنها لم تطرف لها عين على مدى الأربع والعشرين ساعة الماضية ، واصبح كل شيء امام عينيها فجاة هائلا..

كانت قد رجعت في الصباح السابق متاخرة عن ميعادها المعتاد -

الخامسة والنصف - وكانت واضحة الاضطراب حين ادخلها "سيث" المطبخ . كان "سيث" متاثرا بالهدية التي اهدتها "كات" لابن اخيه ، قطيطة انقذتها من حمام السباحة ، واخذتها غرفتها إلى ان اتت لها "شارون" تعتذر بحساسية "اديليد" لفراء الحيوانات ، وهي حساسية لا تمتد لفراء الحيوانات الميتة كالثعلب القطبي . وقد جعل "سيث" من واجبه من يومها ان يضبط منبهه ليكون في استقبالها عند عودتها ، مجهزا لها كوب الشيكولاتة الرائع ، لتاخذه معها لغرفتها .

ولكنه في ذلك الصباح صدم حين رآها تكاد تتهاوى عند الباب حين فتحه لها .

- "كاثلين" ، ماذا جرى ؟ "

- " لا داعي لان تعرف " . وكانت تضع يدها على الجزء الممزق من ردائها ، وكل ما تتمناه وقد وصلت المنزل ، هو ان تبعد عن ذهنها الواقعة الأليمة .

- "ولكنك مصابة " .

فابتسمت له في إعياء :

- " تاثير المشاجرة فقط " . وخفف اهتمامه المخلص من تقلص امعائها ... " لست مصابة يا "سيث" ، إنها الصدمة فقط " . وابتلعت ريقها وقد اعادت الذكرى الانتفاض لأوصالها .

وقال "سيث" غاضبا :

- "اهو رجل " . ورات فيه شهامة الملاكم السابق حين يتعلق الأمر بامراة :

- "اي رجل" . جاء السؤال الأجش من الجانب الآخر من الغرفة . ونظرت "كات" للرجل الموجود في الممشى ، في روب اسود فخم يغطيه من العنق حتى القدم ، وعلى وجهه علامات الشراسة مما جعلها تتضاءل مرة اخرى .

- " "دانيال" ؟ .. ما الذي تفعله هكذا مبكرا ؟ .

- "لدي اجتماع مبكر على الفطور " ووضع قدح القهوة من يده ، وعيناه لاتنزلان عن "كات" : أي رجل ؟ " .

- " إنني .. " . ولعقت شفتيها . يا للسماء ، إنها ستبدو كالبلهاء ،

ولن يضيع "دانيال" هذه الفرصة . واشاحت له بيدها الحرة ، جاذبة انتباهه للاخرى ، فاتقدت عيناه بالغضب :

- " اهو فعل هذا ؟ " .

- " لقد فقد السيطرة على نفسه شيئا ما ، فقد كان غائباً عن وعيه . وامكنني التصرف معه " وتعجبت .. لماذا اتخذت جانب الدفاع عن ذلك الوحش المستهتر ، ولكن السبب كان واضحا . لقد رات في عيني "دانيال" ما يعرف باسم " القاتل الفتاك " .

ورد هو بازدراء :

- " اه ، فعلا ، يبدو ان الامر كذلك " ، واخذ يقترب منها ، يبدو عملاقاً هائلا في عينيها : " من هو يا "كاثلين" . هل كان زبونا ؟ " .

وهزت رأسها . ولم يلحظ ايهما "سيث" وهو ينسل خارجا من المطبخ لقد ادرك بحسه ان هذين الاثنين لا يريدان تدخلا ..

- " واين كان بحق السماء صديقك الإيطالي ؟ " .

- " لم يكن ذلك ... لم يكن في المطعم " .

- " في الشارع ؟ افعل بك هذا في الشارع ؟ " وكادت قبضته تدمي كتفيها .

- " من هو يا "كاثلين ؟ " .

- " لست ادري ، إنه ليس من المترددين على المطعم . وحدث ذلك في السيارة الأجرة " .

وخيم صمت ثقيل من عدم التصديق .

- " في السيارة الأجرة ؟ ! اكنت معه فيها ؟ مع مخمور لا تعرفينه ؟ "

ونزلت يداه عنها ، ولكن صوته استمر جليديا من عدم التصديق .

- " نعم ، ولكن .. " .

- " واين كنتما ذاهبين ؟ ، إلى مسكنه ؟ " .

- " بالتاكيد لا " .

- " ليس هناك بالتاكيد " لا " في هذا . تختارين زبونا مخمورا ، وتجلسين متباسطة معه في رداء كهذا ، ماذا كنت تتوقعين منه ان يفعل ؟ "

وصاحت متلعثمة :

- " لم يكن الأمر هكذا ! " . بعد ما حدث بينهما من تفاهم مبدئي في اليوم السابق ، بدا لها سلوكه هذا معها صدمة فظيعة . إن هذا ما يظنه بها حقيقة . وفي ثورة غضبه ، كشف عن عدم ثقته فيها الكامنة في أعماقه . وشعرت بوخزة الم هائلة، حولتها إلى غضبة لكبريائها :

- " لقد دخل التاكسي الذي طلبه لي "جينو" ، وبدا دمثا وهو يعرض الاشتراك في الأجرة ، بحق السماء ... " وبدا غضبها يزداد تاججا " .. لا يمكن أن تعتقد انني دعوته " .

- إن ملبسك هذا دعوة صريحة . لماذا بحق السماء لم ترتدي معطفك، أو تبدلي ثيابك في ملابس أقل إثارة حين تخرجين للشارع في الليل ؟ " .

وردت بعناد معترفة في داخلها بوجاهة منطقه :

- " كان الجو حارا ، وكنت مرهقة ، وانا الآن اكثر إرهاقا وانا واقفة انصت لمحاضرتك في الأصول والقواعد " . وشمخت بجسدها واتجهت لتنصرف ، ناسية انه لم يكن ليسمح بان تكون لها الكلمة الأخيرة .

- " اللعنة يا "كاتلين" . ليس لك أن تديري ظهرك لي " ، وامسكها من ذراعها الحر " . لم انته معك بعد " . وكان فكه متقلصا وقد اربد وجهه من الغضب :

- "كنت اعلم ان هذا سيحدث يوما ما . كنت اعلم انك ستجرين على نفسك المتاعب" .

وردت هازئة :

- " اوه ، عليم بكل شيء انت . اقسم انك مسرور بما حدث " .

- " إن هذا لن يتكرر مرة أخرى . فلن تعودي لذلك المكان مرة أخرى " . كان مسرورا بالفعل ، وكانت لهجته متجهمة تشي بإحساسه بالانتصار .

وانفجرت كالمحمومة :

- " بحق السماء هذا لن يكون . ساعمل حيث يحلو لي " .

- " ليس وانت تحت سقف بيتي . وإذا امعنت في التحدي لي ، فسوف أغلق محل صاحبك عن طريق السلطات الصحية " .

- " لن تفعل .. "

- " جربي .. إن لي نفوذي في هذه المدينة يا "كاتلين" ، وساستخدمه عند اللزوم . "

وكان هذا هو الرجل الذي خشيت أن تقع في حبه . هذا الديكتاتور عديم القلب .

- " أيها المنافق ، أتظن أن العدوان عليّ حق مكتسب لك فقط ، إنك حتى لم يكن لك عذر بكونك غائبا عن الوعي " .

واستندت قبضته على ذراعها لهذا التهكم المتحدي منها ، وقاومت لتتخلص من قبضته بكل عنف ، وتخاذلت ساقاها وهي في قمة عنفها، فهوت بجسدها مرتطمة بجسده فتلقاها بين ذراعيه ليمنعها من السقوط . وتجمد كلاهما . وأثارت انفاس "كاتلين" اللاهثة كل عضلة في رجولته ، وبدلا من أن يدفعها عنه في تقزز وجد نفسه يضمها إليه. وهمست خجلة من رغبتها التي تولدت رغم ما اظهره لها من احتقار:

- " إليك عني ! "

ورد في صوت مكتوم ، وهو يضع فمه إلى جانب رقبتها :

- " ولماذا افعل ؟ لست انا المنافق يا "كاتلين" ، إنه انت . ولن يكون الأمر اغتصابا لو امسكت بك ، وانت تعلمين هذا " .

ومال رأسها للوراء ، وهمست في وهن :

- " "دانيال" .. كلا " .

وانهار مع مقاومتها كل ما اعتراها من غضب وضعف ، ورد فعل لإهاناته لها. لماذا تنكر ؟ إن هذا ما تريده ، وما ارادته كل عمرها . الشعور بالانتماء لرجل ، وإنها تريده بصرف النظر عن أي تردد او شك . لا اهمية لأي احد آخر. كونه مرتبطا لم يعد يهمها . إنه لها في هذه اللحظة .

واقبلت عليه بجسدها ، وهمست :

- "دانيال ... "

وسمعا صوتا مكتوما في الممشى . فدفعها "دانيال" عنه وهما يحملقان لبعضهما في ذعر ودفع باب المطبخ وصوت "تود" يصيح :

- " ماذا هناك . لقد سمعت اصواتا .. "

www.elromancia.com

وتوقف فور دخوله ، فلم يكن في حالة من تاثير النوم تعيقه عن ان يحس بالجو المكهرب بينهما :

- "كات" ، "دانيال" ؟ ما الذي يجري هنا ؟ "

وتردد "دانيال" مقدار نبضة من قلبه ، وظنت "كاثلين" ان الأمر سيمر بسلام ، وان العلاقة المتوترة المعروفة بينهما لن تدع مجالا للشك فيهما . ولكنها فوجئت به يصيح في عنف :

- انظر إليها . ماذا تعتقد انه يجري بحق السماء ؟ يبدو ان خطيبتك دائمة الخلط بين الرجال . وانا الرجل الثاني هذا الصباح من يقع فريسة لهذا الخلط".

وخرج في ثورة وهو مزهو بالنصر . وجالت عينا "تود" في وجه "كاثلين" . دموع ؟ لا ، كلا . إن بطلته تبكي . ماذا فعل بها ؟ ماذا فعلا بها ؟

- " "كات" .. "كاثلين" .. ماذا فعل ؟ هل اذاك ؟ " .

- " لا ، نعم ... كلا " واغمضت عينيها وهي تشعر بقلبها يتحطم . إنها تحبه . لقد ظنت انها قد عرفته شيئا ما ، وانها حازت بعضا من الاحترام منه ، ولكن ذلك كله كان زيفا . إنه يعتقد انها فاجرة . ولم يعد الأمر مضحكا ، او لهوا وعبثا . إن رايه يهمها كما لم يهمها راي اي رجل من قبل :

- " اريد ان ارحل يا "تود" . الليلة . لا مناقشة ، ولا تسويف . اريد ان امضي ، "انا" او لا "انا" .

وكانت هي اللحظة التي خر فيها امامها مستجديا ، ومعترفا : لم يكن هناك "انا" ، ولم يكن هناك حبيبة رقيقة . إن هذا من صنع خياله ، لانه كان محتاجا لـ"كاثلين" .

كانت "انا" الوهمية طعما ليغري "كاثلين" بالاشتراك في مؤامرة حبكت للفت انظار "دانيال" عن "كلاريسا" التي لاند لها . لقد اختيرت لتكون وسيلة لرفع الغشاوة عن عينيه ، ليرى ما يرتكبه من أخطاء . كان من المفترض ان تثير بتحررها ثائرته ، وان تتحدى باستخفافها بالتقاليد تزمته في التمسك بها ، وان تقتحم بدفء عاطفتها سخريته المتغطرسة ، وان تؤثر فيه بقوة عزيمتها وتصميمها . باختصار شديد

كانت "كاثلين" مختارة لتكون أمام نظر "دانيال" مثالا حيا لكل ما انكره على نفسه ، بزواجه من فتاة ذات قلب بارد . وإذا كانت هذه المؤامرة قد صدمت مشاعرها ، فقد كانت الصدمة اشد حين عرفت بقية الشخصيات المشاركة في مؤامرة "تود" .

"شارون" الهادئة الرزينة ، كسيرة العينين حياء ، كانت العقل المدبر ، وأما أركان حربها ، فالمقدامة "ديانا" . كانوا اشبه بالفرسان الثلاثة ، هبوا لإنقاذ "دانيال بيشوب" حين راوه يقع في براثن علاقة مجردة من الحب .

ولم يمنعها تقديرها لدوافعهم عن الشعور بمرارة الخديعة ، او يهدئ من حدة غضبها ، فاصمت اذنيها عن استجداء "تود" وعزمت على الرحيل فورا . وكانت في غرفة النوم حين دخلت عليها "شارون" بملابس النوم . وكانت اكثر فصاحة وهي تدرك بحاسة سادسة نقاط الضعف عند "كات" .

- " إنك على حق تماما ان تشعري بما تشعرين به يا "كاثلين" ، ولن الومك لو قررت الرحيل ، والا تكلمي احدا منا بعد الآن . ولكني أمل الا تفعلي ، وأمل انه مهما حدث ، ان نظل اصدقاء كما بدانا " .

- " الاصدقاء لا يكذبون على بعضهم البعض " .

- " اعلم ، وانا آسفة ، ولكن يا "كاثلين" ، لم يتصور احد منا لهذه الخطة الحمقاء ان تنجح . ولكن حين بدات تنجح ، اعتقد اننا وقعنا تحت سيطرة قوة دفعها . كان "تود" قد قابلك عدة مرات ، واعجب بك وتمنى لو كانت زوجة اخيه بمثل روعتك وجمالك ، بدلا ممن تصلح مثالا للتجرد من العواطف والانغلاق على الذات . وحدث ان قلت :

- " وماذا لو ... " وكانت بداية لكل ما توالى من حوادث .

واستطردت : "اعترف ان اهدافنا لم تكن تخلو من النفعية الذاتية . فـ "ديانا" كانت ترى ان امها يجب ان تتحول عما هي فيه من تحجر وضيق افق . و"تود" كان يريد ان يؤخذ بجدية اكثر كإنسان ناضج له آراؤه ويحتاج لمن يسمعها منه. اما انا فقد ضقت ذرعا بمعاملة "اديليد" و"كلاريسا" لي ، كما لو كنت اثرا تاريخيا من آثار الأسرة ، بينما انا امراة ذات مشاعر واحاسيس، ومستقبل ليس بالضرورة

مرتبطا بال "بيشوب" وكان خطا منا ان نتخذ منك وسيطا لحل مشاكلنا، ولكن كما ترين ، لم يكن الأمر كله سيئا لك ، بعد ان تعرفت على "دانيال" . كان الأمر في البداية من اجل "دانيال" ، واصدقك القول في هذا ، مؤامرة حب ، يمكنك ان تسميها هكذا ، لان "دانيال" يستحق اكثر مما يسمح لنفسه ان يتوقع لنفسه . لقد جاء من أوروبا ووالده يحتضر ، متعطشا للاستقرار بمعنى الكلمة ، والتمتع بالسعادة طوال حياته " . وتنهدت ... " إلا ان المراة التي كان يحلم بالاستقرار معها لم تكن احتراما كافيا لجذوره " .

وغمغمت "كاثلين" :

- " "إلزا" ؟ " . واستطردت "شارون" في مهمتها الإقناعية .

- " نعم ، وكيف عرفت ؟ " .

- " اخبرني "دانيال" " .

- " رباه ، او قد فعل ؟ لقد تصورت انه لا يتكلم في هذا على الإطلاق المهم، لقد وجد "دانيال" في نفسه المقدرة العقلية لإدارة مصرف "ركس - بيشوب" بنجاح فائق ، اما فيما يختص بحياته الخاصة ... فقد قضي عشرة اعوام وهو على حذر . وقد جعلته كفاءته هدفا لكثير من النساء ذوات الطموح ، حتى صار يضيق بذلك ذرعا . وبصورة ما اعتقد انه وجد في "كلاريسا" خطا دفاعيا ضد ذلك ، وإن عز عليه أن يعترف بذلك . ولكن "دانيال" يتمنى ان تكون له أسرته الخاصة به ، ولن يتنازل عن هذه الرغبة بسبب حب فاشل . فهو يعتقد في نفسه انه محظوظ بمهربه ، ولكن الواقع انه متاثر بما يعتقد انه إساءة بالغة في التقدير فيما يتعلق بـ"إلزا" ، والذي دفعه الا يقترب من اية علاقة عاطفية في العشر سنوات الأخيرة . إنه يعتقد ان ذلك راجع لنظرته الساحرة ، وخبرته وانه بسببهما لن يصل إطلاقا للمراة المثالية في ذهنه ، ولكني اعتقد ان هذا راجع للمواصفات العقلية والمنطقية المغالى فيهما ، مع إبعاد الجانب العاطفي . وخوفا منه ان يكرر خطاه، ترينه يتحاشى كل امراة يمكن ان تثير فيه عاطفة الحب ، امراة لا يمكنه ان يتحكم فيها بإشارة من إصبعه ، تهز مشاعره ، وتطلب حبه ، وتجبره على الخروج من القوقعة التي حبس نفسه داخلها . ومن قبيل

المصادفات ، ان يتفق اتجاهه هذا مع تخطيط "اديليد" بالنسبة لشجرة العائلة ، والمسار الذي يجب ان تمتد فيه " .

وتنهدت "شارون" بعمق، وهي تلاحظ "كاثلين" على كره منها : " "كات"، إن هذا التصرف التعويضي عن الحب سيكون له سجنا سيعيقه عن الفرار منه بعد ذلك إحساسه بالواجب الأسري، والحفاظ على السمعة. إنه بحاجة لامراة بجانبه ، لها ضعفها الإنساني ، ونقائصها ، تخاطب فيه جانب الرقة من نفسه، وليس مجرد جانب القوة فيه ، تطلب منه العاطفة ، وليس مجرد الحماية . إنه و"كلاريسا" اشبه بجوهرتين لا تنفذان الماء لبعضهما ، لامعتين ولكن في برود ، كل العواطف منهما مكبوتة بالداخل . فإذا كنا نحبه ، هل يمكننا ان نقف متفرجين وهو يدمر حياته بيده ؟ " .

- " انا لا .. " ولم تتمكن من النطق بالكذبة ، ثم إن "شارون" تعرف ما اكتشفته "كاثلين" نفسها لتوها .

- " إنه يشعر بشيء تجاهك يا "كات" ، الا يستحق الأمر ان تعرفي ما هو ؟ الا يستحق ذلك شيئا من المجازفة ؟ ايمكن ان تنسحبي ؟ "

وقاطعتها في يأس :

- " ليس الأمر امر انسحاب . إنك لا يمكنك ان تتحكمي في الناس لكي يحبوا بعضهم " .

- " نعم ، ولكن يمكن ان تهيئي لهم الظروف الملائمة لذلك . ليس هناك من دليل على ان "دانيال" سيتراجع عن الزواج ممن اختارها ، ولكن من العدل ان توضع امامه الخيارات . إن "كيوبيد" ليس مسلحا بالسهام فقط ، بل احيانا بالشباك " .

* * *

تنهدت "كاثلين" في وهن تدفع بردفها الباب المروحي في مهارة ، حاملة الصينية للمائدة رقم ٤ ، وكانت على وشك الوصول لها حين رات رجلا يتحدث مع "فريدريكو" ، ابن "جينو" فاهتزت الصينية في يدها لفرط اضطرابها ، فوقع ما عليها على الأرض .

و تمتمت بكلمات الأسف وهي تنظر للحطام ، وبدا كل شيء وكانه

يتحرك بالسرعة البطيئة ، وحجب الطنين في اذنيها ما حولها من اضطراب . ونظرت للدم يتفرق من إبهامها حين ارادت ان تجمع الحطام ، ورأت منديلا ابيض يلتف حوله ، ثم بنفسها تُرفع على قدميها ونراع قوية تحيط بخصرها . وجاء "جينو" هارعاً ، ورات فمه يفتح ويغلق بدون ان تعي كلمة مما قال بسبب طنين اذنيها .

- "كاثلين ؟" واخترق الصوت الرقيق حذر حواسها ، وانتبهت إلى انه "دانيال" من يضمها لصدره وركبتاها قد بدتا لا تقويان على حملها.

وقال "جينو" مؤنباً :

- "لماذا لم تذكري لي ، بالتاكيد يحب الا تعملي اليوم ." ولوح بقبضته : " لو رايت وجه ذلك الرجل هنا مرة اخرى ، فسوف ينال جزاءه على يدي انا و"فريدريكو" . والآن، خذها معك يا مستر "بيشوب" .

- وهذا ما انوي ان افعله " .

وتصلب جسد "كاثلين" ، لاعنة ضعفها ، وهمست :

- " لن اذهب معك في اي مكان ، دعني وشاني ... " .

ورد عليها بصوت حزين :

- " اخشى ان يكون ذلك مستحيلا ، إنك في حالة لا تمكنك من العمل، وسوف اصحبك للمنزل " .

- " المنزل ؟ " . اين المنزل ؟ وهتف جانبها العاطفي "حيث يوجد القلب" ، وطرفت عيناها للدموع التي تجددت فيهما . إنها لم تبك من اجل رجل من قبل، ولكنها افرغت الحصيلة كلها في الأربع والعشرين ساعة الماضية ، ولن تتيح له سعادة ان يرى ضعفها . ولن تذهب إلى اي مكان مع رجل يكن لها كل هذا الازدراء . ولكن ، لماذا جاء هنا يا ترى ؟ الكي يتسبب في فصلها من العمل ؟ لينفذ تهديده ضد محل "جينو" ؟ . واصابها الرعب لذلك .

- "كلا يا "جينو" ، لا يمكن ان اذهب معه إنه يزمع ان يضع صراصير او فئرانا في المحل . "

- " في غاية الإرهاق ! " ولشدة حيرتها ، رات "جينو" يهز راسه في حركة ابوية . الا يمكنه ان يرى ؟ وشعرت بالغضب يجتاح جوانحها .

وخلال عدة دقائق من الاضطراب ، استخدم "دانيال" جاذبيته واسلوبه الساحر لاقصى حد . وبعدها وجدت "كاثلين" نفسها تشحن في "المرسيدس" الواقفة امام المطعم ، و"جينو" يستحثها الا تشغل بالها بالعمل إلى ان تستعيد حالتها الطبيعية .

قالت "كاثلين" وهي تحاول بلا جدوى مع الباب الذي اوصد مركزيا :

- " كيف تتجرا . إن هذا اختطاف . إنني بخير اواه ، لماذا لم يستمع "جينو" لي " .

- " لانك كنت تهذين ، ولانه راى انك لست بخير . إنك مجهدة ومنهارة . لقد قالت لي "فرايا" إنك لم تذوقي طعم النوم . ومن منظرك ، يبدو انك لم تاكلي ايضا . إنك لاتزالين تحت تاثير الصدمة ، ولم اكن اصدق انك عدت للعمل " .

- " هل تكلمت مع "فرايا" ؟ "

- " لقد طلبتني بالمنزل ، وكانت قلقة عليك . وقالت إنك اصررت على الذهاب للعمل كالمعتاد ، حتى وانت لاتكادين تعرفين ما تفعلين ، كما قالت إن لديك بعض الإهانات ضدي " .

وكان صوته رقيقا بصورة كبيرة : " أسف ان اذيتك يا "كاثلين" ، فلم اكن اقصد ان افقد اعصابي ، ولكن هذا ما حدث ، وانا اسحب كل كلمة سيئة قلتها في حقك . لكم كنت اود لو حضرت العلقة الساخنة التي اعطاها السائق لذلك المخمور " .

- " وكيف عرفت ؟ "

- " لقد طلبت الشركة صباح اليوم لأرى إن كنت استطيع الوصول

www.elromancia.com

لذلك الوغد ، ولحسن حظه أن السائق لم يكن قد اطلع على بطاقة هويته . آسف ياقطيطة ، إنها حادثة مؤسفة بالفعل . ولست أنوي أن أسمح لها بأن تتكرر . لقد آن الأوان لتفكري بجدية في عاداتك في أثناء العمل " .

وتصلب جسدها :

- " إذا كنت تتصور أنك ستهددني لترك العمل ... "

- " ليس تهديدا .. بل حل وسط " .

- " أعتقد أن الكلمتين مترادفتان في قاموسك " ، ولم تكن تصدق أنني . اعتذار منه ثم ها هو ينحني أمام إرادتها ! كما أن نداءه لها بقطيطة أرسل الرعدة في جسدها .

ورد بمرح :

- " لم أقل إنني أفعل ذلك مختارا ، ولكني أحترم ولاءك لأصدقائك . فإذا كنت تصرين على العمل لدى "جينو" . فلن تستخدمي سيارات أجرة بعد الآن ، وسوف يحضرك "سيث" بالسيارة " .

- " نادلة تحضر للعمل في سيارة "ليموزين" ! باللسخف " وكان ذهنها مشغولا بحقيقة أنه مهتم بها بالفعل ، وأن اعتذاره - وإن بدا غير معتاد - كان حقيقيا .

قال وهو يدير المعنى بلباقة لصالحه :

- " نعم ، كنت أعلم أن إحساسك المرهف سيبين لك مدى السخف في ذلك " .

ورفضت "كاثلين" أن تشاركه ابتسامته :

- " أنا لن .. "

وحذرها بلهجة مرحة :

- " كوني حذرة لما ستقولينه يا "كاثلين" ، فالحلول الوسط تحتاج تراجعا من الطرفين . فلا تعرضي نفسك للخطر مادمت لست مضطرة

لذلك . ثم إنك لن تؤثري في أحد بعنادك في هذا الأمر .. خصوصاً وأنه لن يكون لديك مطبخ تعملين فيه لو استمررت في عنادك الصلف " .

وردت بتصلب :

- " وأنت لن تؤثر في بتهديدك الفارغ " . إنه لن يقدم على إغلاق مطبخ "جينو" ، إنها تدرك ذلك تماما الآن . إنه فقط كان يهزها لتظهر مدى سذاجتها .

- " ولكنك ستقبلين عرض توصيلك على أية حال ؟ " قال برقة ، مدركا الثقة التي تضمنها ردها المتحدي ، والثقة هي كل ما تملكه من دفاع . وشعرت بتعاطف شديد لهذه البراءة ، التي يعز عليه أن يصدمها .

قالت ، وهي متأكدة أنها ستقبل :

- " ربما ! هاي ! إلى أين نحن متجهان ؟ لن أذهب إلى ذلك الضريح الأثري الذي تعيشون فيه . إني عائدة لمسكن "فرايا" ، وهي تنتظرني "

وقال برقة :

- " لم تعد تنتظرك . إننا عائدان إلى شقتي لدردشة بسيطة . لقد آن الأوان لتكتشفي بعض النقاط الغامضة في . ولا تنظري إلي هذه النظرة البريئة ، فأنت تعرفين بالضبط ما أعني . ولن تستطيعي تحمل الاستجواب طويلا ، فالمنع من النوم أحد الأسلحة الفعالة في ذلك . "

وردت في ضعف :

- " إنك تجعلني أبدو كجاسوسة إرهابية . " لقد كانت "شارون" ساذجة بصورة فظيعة . إن "دانيال" لن يغفر لها على الإطلاق تدخلها في أمور حياته .

وقال برقة مثيرة :

- " إنك تحت التزام فظيع بزعزعة سلام نفسي . والآن ، اغلقي فمك ، ودعيني أركز على القيادة ، فمجرد وجودك يشتت ذهني " .

وتحت تأثير طنين السيارة الخافت ، والمداعبة اللطيفة من هواء

www.elromancia.com

جهاز التكييف، والموسيقى الهادئة من جهاز الاستريو ، بدأت جفون "كاثلين" تنسدل ، والذعر يتسرب شيئا فشيئا مع الاستسلام لحكم القدر في عجزها أن تفعل شيئا لانكشاف السر ، بل بصورة ما شاعرة بالراحة كذلك ...

وهز "دانيال" رأسه بمرح لموظف الأمن عند البوابة ، الذي اختلطت مشاعر الفضول والمفاجأة لرؤية المرأة المستغرقة في النوم بين ذراعيه . وضغط بصدره على جسدها حتى يضغط على ضاغط المصعد ، ثم يتامل الوجه الجميل ، ذا الشفتين المنفرجتين ، وباب المصعد ينغلق عليهما . كانت طويلة ، وليست خفيفة الوزن ، ولكنه كان يستمتع بالمجهود الذي يبذله في حملها. لقد كانت محتاجة لرجل قوي يحملها، من جميع النواحي .

وفتح باب المصعد أمام شقته ، وسار بها إلى غرفة نومه ، وهو يتصارع مع مشاعر الغيرة ، والتملك التي ثارت في نفسه بالنسبة لـ"كاثلين" . وسوف يتطلب الأمر وقتا إلى أن يتصالح مع تلك المشاعر .

وكان وجهها مجهدا وشاحبا في عتمة الغرفة . وأرقدها على السرير، وسحب عليها الغطاء الحريري . وبدا لون الشهد في جسدها متلألئا . وبدت غاية في الاسترخاء والراحة ، في سريره هو ، وكأنها في سريرها .

* * *

حين فتحت "كاثلين" عينيها ، كان الضوء يكاد يبزغ . أهو الفجر ؟ فجر في سرير غريب عنها ، تفوح منه رجولة ؟ وأطلقت زفرة حين تذكرت ، واعتدلت جالسة . وجاوب زفرتها صوت خافت من الخارج . فشدت الغطاء على جسدها وهي ترقب خيال الرجل الواقف لدى الباب،

تحت الضوء في الممشى .

- " "دانيال" ؟ ماذا فعلت ؟ "

وضغط ضاغط النور بمرفقه وغرقت في ضوء ذهبي .

- " لم أفعل شيئا .... بعد " واقترب منها متخايلا في قميصه الأبيض والبنطلون الأسود : " اطمئني من ناحية فضيلتك ، فهي لم تمس " وابتسم لها ابتسامة خفيفة . " كيف حالك ؟ " ، وتفحص إبهامها الذي كان مغطى بالبلاستر .

- " اللعنة ! أريد أن أعرف .. "

- " دعينا من هذا الآن يا "كاثلين" . العمل أولا .. ثم نتحدث عما تريد.."

وقالت بصوت حاد :

- " عمل ؟ " ثم ألقت نظرة على الساعة بجوار السرير : "رباه ، إنها الثامنة. أليس المفترض أن تكون في عملك ؟ " .

وتحولت ابتسامة شيطانية :

- " الثامنة مساء يا قطيطة .. إن أمامنا الليل بطوله .

وهمست غير مصدقة :

- " هل تركتني أنام اليوم بطوله ؟ " .

- " كنت محتاجة لذلك "

- " وكيف عرفت أنني لن أستيقظ وأفر هاربة وأنت في العمل ؟ " .

- " لم تكوني لتفري بعيدا . إنني لم أغادر هذه الشقة . فقد طلبت من سكرتيرتي إلغاء كافة ارتباطاتي ، وأرسلت لي الأوراق هنا " .

لقد جعل لها الأولوية على مصرفه وشعرت بالدوار حين فكرت في ذلك :

- " أواه يا "دانيال" .. "

لقد اعتنى بجرحها ، وتفرغ للعناية بها .

www.elromancia.com

وامسك بيدها اليسرى ، مشبكا اصابعه في اصابعها :

- " إنك لاتلبسين خاتم "تود" هل تشاجرتما بعد ثورتي عليك ؟ هل تشاجرتما بسببي ؟ " .

- " اوه .. نعم .. ولكن .. "

- " حسنا " وقطع صوته الخشن وهو يعلن عن رضائه لمحاولتها الواهية للتفسير .

- " يمكنني ان اجعلك تنسين يا "كاثلين" ، اجعلك تنسين اي رجل عرفته من قبل . سوف اشبعك بي إشباعا لا يكون بعده مكان لشخص او لشيء اخر .. "

* * *

قال "دانيال" غير مصدق :

- " لقد كانت المرة الأولى لك ! إنك لم تكوني قد اسلمت نفسك لـ"تود"، او لاي رجل اخر من قبل ! " .

وغمغمت هامسة :

- " وهل رقت لك " .

قال وزهوة الرجولة تملأ نفسه :

- " لقد زدت في عيني روعة ان اكون اول رجل في حياتك ! هل ستخبرين "تود" ، ام تتركين ذلك لي ؟ "

ونظرت إليه متلعثمة ، وقد ارتج عليها . وصاح مزهوا بانتصاره :

الم اقل إنني سانتزع السر منك ؟ إذن فلم يكن بينك وبين "تود" اي شيء كان الأمر كله كذبا ، كذبا مسبوكا بعناية ، وقعت ضحية له طوال الوقت .. بل كدت اخدع حين بدات الق بحسن اخلاقك ، واراهن انك كنت تتلذذين بذلك ، ولكنك لن تضحكي بعد الآن يا "كاثلين" ، فقد جاء دوري لأتمتع بالفكاهة .. "

وجعلها صوته الرقيق كالمغنطة ، ثم ذعرت للتغير في مسلكه ، حين هزها بعنف قائلا : " ماذا كان الهدف من كل هذا ؟ هل كان المفترض ان اعض بنان الندم لما ارتكبت في حق طهارتك ، وأسالك الزواج ؟ أم مجرد ان اقع تحت تاثير سحرك إلى ان تدمري حياتي ؟ من الذي خطط لهذا من وراء الكواليس ، "تود" ؟ "اختي" ؟ "

- " لا تكن مقززا . "

قال والشرر يتطاير من عينيه متجاهلا مقاطعتها :

- " من الآن ، سامسك كل الأوراق في يدي ، وستكون الكلمة كلمتي . ما افعله بخصوص زواجي ليس من شان اي احد منكم . ولن اسمح لك بان تتحكمي في ، لا بالشعور بالذنب ، ولا بالإثارة . "

وكانت متفهمة لرغبته في الانتقام ، بل مرحبة ، بصورة ما به كنوع من التعويض لكرامته . اما ما قاله بعد ذلك ، فقد فجر بركان الغضب داخلها .

- " إنك ، من الآن فصاعدا ، ستقنعين بدور عشيقتي ، وتقومين بكل فروض وولاء العشيقة لمعشوقها " .

- " كلا ، يا "دانيال بيشوب" ! " لم تكن لتسمح له بذلك " لن اكون عشيقتك ابدا . اما ان اكون حبيبتك . فنعم ! " .

وزار ضاحكا في غضب :

- " تبا للتلاعب بالألفاظ ! " . لقد حازها اخيرا كما يشتهي .. اليس كذلك؟

www.elromancia.com

الفصل التاسع

- "كش مات !"

وهز "دانيال" راسه بشدة ، ناظراً لرقعة الشطرنج ، رافعا حاجبيه في دهشة.

- "كيف حدث هذا ؟"

قالت "كاثلين" في رقة :

- اعتقد انك لم تكن مركزا " .

ورفض غروره أن يعترف بذلك . ودرس الموقف الذي ادى لهزيمته لعدة ثوان ، ثم تصلب جسده . وتلاقت العينان الزرقاوان غير المصدقتين بالعينين البريئتين.

- " هذا غش منك " .

- يا إلهي ! "دنيال" ، هل انت ممن يتالمون للهزيمة ؟"

وقال مصرا على اتهامه :

- " لقد غششت . لقد بدّلت القطع " .

- " هراء . كيف افعل وانت جالس امامي لم تتحرك ؟ المفترض ان تسر لفوزي ، حيث إنك انت الذي علمتني اللعبة ، وشرحت لي كل تكتيكاتها " .

- " التكتيكات داخل حدود قواعد اللعبة " . واختلطت صرامته بشيء من التلذذ: " ولا يتضمن ذلك سرقة قطعة وانا غير منتبه . إن الفيل الذي استخدمته في الكش كان بيدقا من ثوان معددة "

وابتسمت :

- " دعك من هذا . هل نعتبر الدور تعادلا ؟ "

- " كلا ، ليس قبل ان تعترفي بالغش ! "

- " لن اعترف بالغش إلا إذا اعترفت بعدم التركيز " .

- " لم اكن مركزا " .

- " وانا غششت " .

وضحك للاعتراف الفوري :

- " اعتقد انني لو لم الاحظ ، لاستحققت الهزيمة " .

وردت باعتداد :

- " هذا حق " .

- " حسنا ، إن لك كل اهتمامي الآن " وكان بذلك يبين انه قد فهم مغزى غشها له في اللعب . إنه لم يكن ينشغل عنها وهي معه بهذه الصورة ابدا . حتى حين كان ينشغل بساعاته ومنبهاته ، وهي متكورة امامه بكتاب في يدها ، كان يبدو منتبها لكل حركة من حركاتها .

وسالته :

- " لماذا هذا العبوس العظيم ؟ متاعب في المصرف ، ام في البيت ؟ "

من شهر واحد ، لم تكن لتتجرأ ان تساله هذا السؤال ، وإلا لأعادها بحزم لمكانها الصحيح . ولكن لم يستطع ان يواصل تطبيق هذه

القواعد الصارمة على علاقتهما، وهو ما كانت "كاثلين" تامل ان يحدث.

كيف يمكنه ان يستغل شخصا يابى ان يكون موضوعا للاستغلال ؟

كيف يمكنه ان يحجب نفسه عن شخص يعطي نفسه بكل كرم ؟

لقد ابتلعت كبرياءها في اول الأمر ، دون ان تبدي ذلك . وكان يقضي الساعات الطوال منهمكا في ارتباطاته الاجتماعية ، ودائما ، تكون "كلاريسا" التي لاند لها متعلقة بذراعه . واحيانا ما كانت تتلقى مكالمات او زهورا حين كانت هذه الارتباطات تحجبه عنها طويلا . وكانت تعلم ان هذا تقدير من "دانيال" لإصرارها على العودة لمسكنها فور إصلاحه بدلا من ان تعيش عالة عليه في شقته ، وكانت قد اعادت كل هدية تلقتها من آل "بيشوب" ، عدا الزهور التي لم تجرح كبرياءها . لم تكن تريد اي اشياء مادية تشوه حبها. وروويدا رويدا ، ضعفت إرادة "دانيال" الصارمة لتحديد علاقتهما في حدود المتعة الجسدية ، وإن ظلت في حدود السرية . كانت فترات الاحاديث بينهما تزداد طولا، ومعرفة كل منهما للآخر تزداد عمقا . وكانت تخفي املها بكل حذر ، واعية الا تبدي اي بادرة يفسرها رغبة منها في السيطرة عليه . ولم تكن تمارس عليه سوى قوة الفتنة . ما إن تثير اهتمامه ، حتى تستغل تلك اللحظة ، تاركة المستقبل للغيب ، عالمة ان نزعته التشاؤمية وتجربته السابقة في الحب ، تجعله بطيئاً في إلاء الناس ثقته . وعالمة ايضا ان هذه الثقة حين تكسب فلن تكون قابلة للضياع .

وازاح "دانيال" الرقعة بيده ، مبعثرا ما عليها .

- " متاعب في المنزل . خناقة لرب السماء . لقد اكتشفت "اديليد" ان "شارون" على علاقة مع احد مدرسي الموسيقى في جماعتها ، ويبدو انها تتطور للجد . وتريد مني "اديليد" ان اقابله ، واحذره " .

- " اوه " وانحنت " كاثلين" متشاغلة بجمع القطع المتناثرة .

- " الن تبدي رايا ؟ " .

www.elromancia.com

- " وما شاني انا ؟ " .

- " لانك انت ، و"شارون" وايضا " ديانا" ، لازلتم في منتهى الغموض. وما يعتبر خبرا جديدا بالنسبة لي و "اديليد"، ليس بالضرورة جديدا بالنسبة لك . بل لن ادهش لو علمت انك من شجعتها على إظهار هذه العلاقة " .

ورفعت ذقنها بعنف . ولكن نزعة التحدي ماتت على الفور لنظرة السرور والاستكانة التي بدت في عينيه ، ولم يبد على وشك ان يصيح بها ان تظل بعيدة عن شؤون اسرته . وكانت "ديانا" قد قصت لها عن الجلسة التي تشيب لها الرؤوس بينهم وبينه بعد اكتشاف مؤامرتهم . ولكنها اخبرتها ان كل ما تمخضت عنه كان تهديدات كلامية . " لقد هدد بان يخبر امنا بامرنا لو تدخلنا مرة اخرى في شؤونه . "كات" .. " لقد اخذنا نستعطفه .. جبناء نحن إلى النهاية ! " .

- " لقد قلت فقط إنه من الأفضل ان تعلم "اديليد" منها هي ، بدلا من هواة نقل الأخبار . إن "سيتفان" شاب ممتاز " .

- " هل قابلته ؟ " ، وهزت راسها " إنه مطلّق ، وله بنتان " وكان صوته طبيعيا، ولكن "كاثلين" انبرت للدفاع :

- " تعيشان معه ، وتهتمان بـ"شارون" حبا . لماذا لا تقابل الرجل قبل ان تلقي إليه بالرشاوي . إنه قد لايكون غنيا ، ولكن دخله لا باس به سيُسعد "شارون" فهو يحبها . ولكني لا ارى ان لهذا اي اعتبار في دستورك " . وفرت منها هذه الملاحظة الحادة ، رغم القيود الوثيقة التي تقيد بها انفعالاتها . قال لها في هدوء :

- " إنك لا تثقين بحسن اخلاقي يا "كاثلين" " .

- " بالتاكيد اثق" . كانت الفكرة قد انهلتها : " الأمر كله ان ... "

- "إنك تعتقدين اني ضعيف الإرادة ، العوبة في يد والدتي " .

وقالت محتدة :

- " لا تكن سخيفا " .

- " لست كذلك . إنك لا تثقين بي ان اضع مصالح "شارون" نصب عيني " .

- " مصالح العائلة " .

- " إننا لسنا عصابة من المافيا " .

- " قل هذا لوالدتك " .

- " ربما لو حاولت ان تفهميها ، بدلا من ان تهاجميها .. "

- " كما تهاجم هي الآخرين ، اتقصد ذلك ؟ " .

- " نعم " وزاد هدوءُه من غضبها " إنك مختلفة يا "كاثلين" . لماذا لا تشملين كل المعذبين بعطفك ، بصرف النظر عن طبقاتهم ؟ هل انت غيور منها ؟ "

وردت بصدق :

- " كلا بالتاكيد " . وتضايقت من المقارنة . هل يقصد انها مغرورة مثل "اديليد" بطريقتها الخاصة .

- " نعم ، لماذا تغارين منها ؟ إنك تعيشين كما تريدين تماما . إنها هي التي يجب ان تغار منك " .

وهبت على قدميها ، مستاءة لهذه السخرية اللاذعة . وتبعها مؤكدا، واضعا كلتا يديه على كتفيها : " إنني جاد في قولي . الا ترين ان احد أسباب حقد "اديليد" عليك ، انه رغم ما بدا على مظهرك الخارجي من سوقية ، فإنك تملكين خصيصة لم تكن لها يوما ما . المقدرة على التباسط مع الناس ، وان تثيري فيهم الحب لك ؟ إن الناس يحبونك يا "كاثلين" ، حتى وانت تدفعينهم للغيظ منك لحد الجنون . إن بك دفئا خفيا ، لا يمكن مقاومته بمعنى الكلمة " . وادار وجهها المولي تجاه الحديقة برفق : " اما هي ، فعليها ان تبذل الجهد لتجنب الناس . إن غرورها يمنعها ان تبدي عواطفها ، فهو يحيطها بدائرة شريرة وقعت

www.elromancia.com

هي في شراكها .

اعترف بان غرور والدتي امر يضيق به الصدر ، ولكنها نشات هكذا، وإصرارها على ان تسير الامور كما ترى هي ، راجع في نظري إلى عدم شعورها بالامن كإنسانة . إنها لم تجد فرصة لان تكشف نفسها مثلك . إن "ما" هي ، كان اهم لديها من "من" هي ، وهذا من شانه ان يدمر إحساس الشخص بذاته . فعلى سبيل المثال ، اتصور ان والدتي لها إمكانات لإدارة ما هو اكبر من منزل واسرة وجمعيات خيرية . إن لها عقلية رجال الاعمال . ولكن عصرها لم يكن ليتيح لمثلها مثل هذا النوع من الانطلاق . ولم يكن غريبا لذلك ان توجه طاقتها في ممارسة السلطة علينا ، بعد وفاة والدي واخي الاكبر . لقد كان اخي هو الابن الاثير لها. اما انا فكنت الابن المتلاف الذي لا شخصية له ... وقد عدت لكي اجني ما زرعه هو من قوة ومجد " .

- " ودفعت انت ثمن جريمة الاستفادة من موت اخيك ، بان صرت واقعا تماما تحت سيطرتها " . الحب والإحساس بالذنب ، اكبر دافعين.

وهز كتفيه في اسى ، ويده تدعك ذراعها عن غير وعي :

- جزء مني راض تماما عن النظام الذي تصر عليه . فقد نشات اساسا على طاعتها بالنسبة لي ، الامر ليس إلا لعبة .. اما لامي ، فهو حقيقة . وهذا هو الفرق بيننا . وقد حاولت ، من خلال "تود" ، ان اجعلها اكثر اندماجا في شؤون المصرف ، ولكنها كانت قد تقدمت في السن بما لا يسمح لها بالتغير ، فهي تشعر بالامان في عالمها " .

وغمغمت :

- " المسكينة ! " وتناول وجهها بين كفيه .

- " لا تسارعي بالشعور بالاسف لها ، فلن تشكر لك ذلك . كل ما اريده هو ان ابين لك لماذا اسمح لها بقدر من .... التسامي . فانا لا اردد كالببغاء اراءها وتحاملها ، ولكني اعلم انه لا سبيل لها غيرهما

للتنفس عن إحباطاتها . اما انا فلدي الكثير .. شقتي ، مجموعاتي ، فني ، عشيقتي " وابتسم لها في خبث .

وكان يقصد الهذر ، ولكنه لمس وترا حساسا للاسف . اهذا هي بالنسبة له ، لاتزال ، متنفساً عن الإحباطات ؟ ونفرت عنه قائلة :

- " إنني لست ملكا لاحد، انا ملك نفسي ، وإياك ان تنسى هذا ابدا".

- وانى لي ان انسى ؟ ! إنني اتذكره كل مرة تتركينني فيها وحيدا " وكانت تصر ان يكون مبيتها في مسكنها ، مهما كانت الظروف .

- " إن الاختيار لك انت ، وليس لغيرك " .

- " إن الامر ليس فيه اختيار يا "كات" . إنني لا ارغب في الزواج من "كلاريسا" ولكن .. "

ولم ترد ان تسمع العبارة ، فقاطعته :

- على رسلك يا "دانيال" . إذا كنت ستبدا ذرف دموع التماسيح حول عدم فهم زوجتك لك حتى قبل .. "

- " ولكنها تفهمني بطريقة تدعو للإعجاب ، وهذه هي النقطة " .

- " زوجة مناسبة تماماً ، يا لسعادتكما ! ولكن إياك ان تتوقع مني ان اكون جزءاً من هذا التفاهم . فالشركة الثلاثية ليست ملائمة لي " .

فرد باقتضاب :

- " ولا انا يا "كاثلين" ، لا استطيع ان اشرح لك بعد ، ولكن هناك اسبابا " .

- " بالتاكيد هناك " . ثم تناغمت بصوتها لتدخل فيها نغمة ضيق : " واسباب جوهرية للغاية " .

وضاقت عيناه نافذتا الصبر :

- " إن بيني وبين "جينالدين" علاقات عمل حساسة ، ونحن الآن في مرحلة مفاوضات حول رئاسة إحدى شركاته " .

- " وابنته جزء من الصفقة . نعم ، فاهمة . كم يبدو الامر محيراً لك.

بالتضحيتك العظيمة " !

وبدأ يغضب لاستهزائها ، فاستغلت ذلك . اللعنة له ، إنها لا تريد ان تسمع تبريرات لزواجه من "كلاريسا" ، عمل او لا عمل ، وافزعتها هذه الجدية منه . لقد كان التفاهم بينهما ، انه فور زواجه ، سوف يستغني عن خدماتها . ويبدو انه رجع في كلامه ، ولكن "كاثلين" لم تتراجع . إنها تحبه لدرجة انها لا تسمح له بالانغماس في رذيلة الخيانة الزوجية .

- " لو تركتني انهي كلامي .. "

- " اوه "دانيال" ، لا تحمل الأمر اكثر مما ينبغي ، فهو ليس ضرورياً لأي منا . لقد ذكرت لي اني مجرد مرحلة عابرة ، اتذكر ؟ ولست في هذه المرحلة من حياتي منغمسة في اي شيء عميق او ذي اهمية ، وما الذي يجبرني على علاقة لا طائل من ورائها ، مادمت اعلم ان هناك ما هو اجدى وانفع لي .. "

وتحول ضيقه إلى غضب جامح :

- " اتحاولين ان توحي لي بانك تعرفين شخصا آخر ؟ " .

ومن ملامحه ، وجدت ان الكذب ليس من الحكمة في شيء ، فاثرت ان تقول الصدق :

- " بالتاكيد لا . إنني لست على شاكلتك ، لايزال لدي بعض الإحساس بالقيم . ثم ، من اين لي ان اجد الوقت لذلك ؟ إنني إذا لم اكن هنا ، فانا في المسرح ، او لدى "جينو" ، او راقدة في البيت نائمة ، او احضر إحدى المحاضرات " . وكانت قد بدأت تلتحق ببعض المحاضرات التي تلقى حول الاقتصاد والاستثمار ، شجعها على ذلك نجاحها في تحصيل مبلغ لا باس به من شراء بعض الأسهم وبيعها ، حتى انها بدأت تتساءل إن كانت قد عثرت اخيرا على مجالها المناسب للعمل ، "كاثلين" الرأسمالية البديئة ! لقد كانت المتعة في الأمر بالنسبة

لـ"كاثلين" في التحدي في ذاته اكثر من الربحية .

وذهب عن "دانيال" غضبه بنفس السرعة التي تولد بها :

- " لست مضطراً لكل هذا يا "كاثلين" .

وومضت عيناها :

- " إياك ان تعود لهذا " .

وصك سمعهما صوت باب المصعد ، فتسمرا من الصدمة . لا احد يمكنه ان يستخدم المصعد الخاص بدون ان يكون مدعوا ، وإلا فموظف الأمن سوف يعترضه .

- "كلاريسا" !

- "دانيال" . وبعد امتصاص الصدمة ، عادت الملامح الكلاسيكية لصورتها الأولى ، مجردة من اي اهتمام : " هاللو "كاثلين" " وذهلت لتملكها لأعصابها . فلم يكن في صوتها اي سخرية او دهشة .

- " كلاريسا" ، هذا غير .. متوقع " وهو ايضا سرعان ما استعاد تمالكه لنفسه يالهما من شبيهين ، وتراجعت هي في اضطراب .

وقالت "كلاريسا" :

- " اسفة لمقاطعتي " . والقت بنظرة باردة على دليل الجريمة ، وفي نفس اللحظة ، كانت "كاثلين" تنظر تجاهها ، فتلاقت عيونهما ، واشاحت "كاثلين" بوجهها ، ممزقة بين الخوف ، والالم .

واعادها صوت "دانيال" الرقيق للموقف :

- " "كلاريسا" ؟ كلا " لقد كان كاذبا ... كاذبا حين قال إنه لا يربطه بها سوى علاقة عمل . لا يمكن لرجل ان ينظر لامراة هذه النظرة ، او يكلمها بهذه الرقة ، ولا يكون مرتبطا بها حقيقة . واحست "كاثلين" بالمرارة والخجل لما فعلته، وما تفعله ..

وقالت "كلاريسا" بابتسامة باردة لا تخدع احدا :

- " إني آسفة . لقد سالت موظف الأمن ان يفتح لي المصعد ، ولم اكن

www.elromancia.com

اعلم ان معك أحدا هنا " . وفردت يديها معتذرة ولكن "كاثلين" لمحت اليدين الرقيقتين الجميلتين ، ترتعشان . " اريد ان اتحدث إليك في أمر عاجل ... يا "دانيال" ".

- " طبعا . "كاثلين" ، اتسمحين ؟ " واعادها السؤال الرسمي لمكانها الحقيقي. إن لـ"كلاريسا" المقام الأول بالتاكيد إنها في نشوة غرورها بحبها ، تصورتها شيئا لا قيمة له باعتبار رفض "دانيال" للحب كاساس للزواج ، ولكنها كانت مخطئة . وإذا كان لـ"دانيال" ذلك القناع الذي يواجه به الناس ، فلماذا لا يكون لـ"كلاريسا" مثله ؟ وتحت اقنعتهما ، هناك الترابط الوثيق بينهما والذي يشكل اساسا لعلاقتهما .

وسالها في صوت اجش ، لا يماثل النبرة التي خاطب بها خطيبته :

- " "كاثلين" . إنك تفهمين بالتاكيد ؟ "

- " نعم ، فاهمة " . فاهمة اكثر مما تتصور .

لقد قضي الأمر . إنه لم يحدث ان وعدها وعودا زائفة ، وليس من حقها ان تشعر انها قد خدعت ، ولكن ذلك كان شعورها بالفعل .

وتراجعت عن الزوجين المتالفين ، واتجهت لغرفة النوم حيث اكملت لباسها ، وجمعت الشواهد على ترددها عليها ودستها في حقيبة يدها، ثم جمعت كتب الاقتصاد في حقيبة صغيرة ، ودخل عليها "دانيال" وهي تغلقها .

- " إنك راحلة . لعل ذلك افضل " .

وردت بتجهم :

- " اعلم ذلك " . ودارت ببصرها تلقي نظرة اخيرة على المكان الذي شهد كل سعادتها .

- " قد يستغرق هذا وقتا ، وسوف اتصل بك " .

لماذا ؟ ايطيل عذاب الفراق ؟

- " لا تشغل بالك " .

وانتبه للحقيبة : "كات" ، ماذا في هذه بحق السماء ؟ " .

- " حاجاتي " .

- " اللعنة ! "كات" ، إني لم اقصد ذلك ، وانت تعلمين ! انتظري ، إذا اردت الانتظار ، فلا باس . ليس عليك ان تنصرفي . إن "كلاريسا" متكدرة .. "

قالت وهي تزم شفتيها :

- " ارى ذلك " .

- " ليس بخصوصنا ، إنه شيء آخر . لا يمكنني ان اشرحه الآن " .

- " لست اتوقع منك ان تفعل " . وحاولت ان تدور حوله ، ولكنه اعترضها : " دعني اذهب يا "دانيال" . "

- " كلا ! اسمعي ، سوف اطلب من "كلاريسا" .. " .

- " ان ترحل ؟ " عالمة انه لن يفعل ، عالمة لمن يكون ولاؤه . ونظرت إليه بعينين ملأهما الازدراء ، سعيدة بوحشيته وهو يمرر يده في شعره وينظر وراءه بعصبية :

- " حياة شاقة اليس كذلك يا "دانيال" ؟ ان تتعامل مع امراتين واحدة في حجرة النوم ، والثانية في الصالة ؟ " .

- " "كاثلين" ، ليس الأمر كما تظنين .. " .

- " إنك لا تعلم ماذا اظن ، ولا تهتم بما اظن ! لقد قلت لك إنني لست عشيقتك . ولكنك كنت تنظر إلي هكذا على الدوام ، اليس كذلك ؟ حسنا، لقد فاض بي الكيل ، وضقت ذرعا بهذه العلاقة غير المجدية " .

-"ماذا تتوقعين مني ؟ لا استطيع ان اعرض عليك شيئا اخر، ليس.."

وقاطعته بمرارة :

- " وخطيبتك جالسة في الصالة " .

- " اهذا ما ترمين إليه ؟ وعد بالزواج ؟ " .

www.elromancia.com

- " لا تشغل بالك ، إنني لا اتزوج إلا عن حب " .

- " وانت لا تحبينني الآن بالتاكيد ؟ " .

وتقلصت امعاؤها . اهذا ما يريد ؟ خضوع كامل ؟ وضحكت ضحكة خشنة ، واشاحت عنه بوجهها ، فامسك بها من مؤخرة عنقها ، واجبرها ان تنظر إليه :

- "ردي علي " .

إنه يريد ان يتباهى .. بالتاكيد . لقد بدا الأمر بهدف ان تدمر زواجه، فدمرت نفسها بدلا من ذلك ، على الاقل بالنسبة لأي رجل آخر .

وردت بحدة :

- " كلا . إنك مثير للازدراء . لماذا لاتعود إليها ، إنها ترحب بك " .

- " وانا لا اعني شيئا بالنسبة لك " .

- " لا شيء البتة ! " . وبينما كانت شفتاها تنطقان بتلك الفرية ، كانت عيناها تشعان نيران الغضب .

وقال بهدوء تشوبه العجلة :

- " كاثلين" ، يجب ان تمنحيني بعض الوقت . اتدبر فيه البدائل مع "كلاريسا" " .

- " البدائل ؟ " . واخذت تتملص من قبضته ، ترتعد من التقزز ، وتقاوم الرغبة في الاستسلام ، ولو فعلت ، لقضي عليها للأبد . "ايها الوغد ! لقد رايت نظراتكما المتبادلة ، اتقول انه لا شيء بينكما " .

- " لست احبها .. "

- " وهل يعطيك هذا حق خداعها " .

- " إنني لا اخدعها ، فهي تعرف " .

وشعرت بالدوار ، وقالت مختنقة :

- " وهذا يجعل الأمر اسوأ " .

- " كاثلين" ، ارجوك ، ثقي بي " .

- " اثق بك " والتوت شفتاها في تظاهر بالرغبة في الضحك .

وهزها :

- " نعم . إنك لم تثقي بي إطلاقا من قبل . بينما تتحدثين عن عدم ثقتي بالناس الم تعرفيني بعد ؟ الم تعرفي انني لم اسالك فهمك ، إلا إذا كنت استحقه فعلا ؟ لا استطيع ان اخبرك بكل شيء الآن . امنحيني بضع دقائق اقضيها على انفراد مع "كلاريسا" ، وسوف افعل . اعدك بذلك ، هل ستثقين بي ان افعل ما هو خير ؟ "

وسالته بنبرة ثقيلة :

- " لماذا ؟ اعطني سببا واحدا لتصديقك ؟ " .

وخلى سبيلها ببطء وتراجع عدة خطوات :

- " ربما لانه يجب عليك ذلك . لانني احبك " .

لو لم تكن هذه النبرة الساخرة ، هاتان العينان الباردتان ، بهما كل ذلك الحذر ، والمراقبة ، ربما ، ربما ، سمحت لنفسها فقط ان تقع في هذا الوهم الجميل . وهزت راسها ، منكرة هذا الاحتمال . إنه لا يمكنه ان يحبها ، ايمكنه ذلك ؟ إنه لا يقول إلا ما يتصور ان اي امراة تريد سماعه ، شيء يواجه به عزة نفسها . لو كان يحبها ، لماذا لم يقل هذا من قبل ؟ .

لقد فات الأوان . وكان صمتها ابلغ من اي قول . وتحولت العينان الزرقاوان إلى برودة الجليد ، باعثتين في اوصالها التجمد .

- " لاجدوى من بقائك بالفعل . هيا ، انطلقي إلى الأمان بين اصدقائك ، وإذا غيرت رايك ، وعن لك ان تعودي ، فلا داعي للمحاولة ، لقد اكتشفت انك لست المراة التي اريدها على الإطلاق .. "

www.elromancia.com

الفصل العاشر

وضعت "كاتلين" القبعة الحمراء الأنيقة على رأسها ، وخمارها النصفي يتدلى منها ، وتاملت التاثير على مظهرها . لقد اخفى الخمار على الاقل الهالات السوداء حول عينيها ، والتي لم تتمكن مساحيق الزينة من إخفائها ، او ان تخفي ضمور وجنتيها .

وقالت "فرايا" و"كاتلين" تتراجع امام المرآة لترى التاثير :

- " إنك تبدين رائعة كما ابدو انا حينما اكون مبتئسة اشبه بدراكولا ، اما انت فتبدين غامضة ذات جمال اخاذ " .

وقالت "كاتلين" في تجهم :

- " اتمنى ان اكون الآخاذة ، ولست الماخوذة ، مادمت اقوم بدور الشبح في الاحتفال ، اريد ان اراه ماخوذا " .

نعم ، الرداء مناسب تماما . إنه هو نفس الثوب ذي اللون الأحمر

النبيذي الغامق ، الذي نصحها "دانيال" يوما بان ترتديه كان الصوف "الجرسيه" الرقيق مفصلا ليظهر الأنوثة ، ولكن موحيا بثقة تليق بسيدات الأعمال ، ممن يستطعن مجاراة الرجال على قدم وساق ، ويليق بالتالي بوظيفتها الجديدة في شركة سمسرة واستثمار . وقد قال مخدومها إنه معجب جدا بكفاءتها بالفعل . وقد كانت "ديانا" قد قدمت لها يد العون في بادئ الأمر ، رغم اعتراضها . وقد قالت لها إنه ليس هناك مانع ان تظلا صديقتين رغم تصرف اخيها تصرف الأوغاد . لماذا تعاني اكثر مما عانت ؟ إن كل ما فعلته كان لكي تثبت لنفسها ، كما لـ"دانيال بيشوب" انها لم تعد تعاني .

ولكنها كانت ... منذ ان ارتكبت خطاها ، وحرقت نفسها ، وهي تتحرق شوقا للعودة لـ"دانيال"، ولكنه لا يريدها : لاتحاولي العودة . لقد فعلت ما كانت مصرة على الا يحدث ، اعطته وسيلة سهلة للتخلص من علاقتهما . وقد انتهزها .

وكان "تود" قد اخبرها بتعاطف ان "دانيال" يعمل بهمة من نار في مشروع خاص ، ولكن ذلك لم يمنعه من ان يشاهد في اماكن عديدة من المدينة مع خطيبته ، والتي بدت وكانها شفيت من نوبة الضعف التي كانت ترتعش لها يداها . وكانت "كاثلين" تتابع اخبارهما بغيرة على صفحات الصحف والمجلات. ربما كانت هذه الأخبار بإيعاز من "كلاريسا" لتثبت انها لا تزال متملكة لـ"دانيال"، وربما كان "دانيال" وراء تلك الأخبار ايضا .

وحملقت "كاثلين" بعينين غائرتين في المظروف المربع على منضدة التزيين ، وتملكها الغضب .

- " الخنزير ! كيف تجرأ ؟ كيف واتته الجراة ؟ " .

لقد وصل اليوم صباحا ، وكانت على وشك التوجه إلى الاجتماع السنوي لمؤسسة "كوين كروب" ، والذي كان مقررا عقده في مبنى

مصرف "ركس بيشوب" . وحين جاءتها الدعوة لحضور الاجتماع ، طلبت سمسارها على الفور لتسأله عن الموضوع . وصحح لها معلومتها عن انها لا تملك اسهما في تلك المؤسسة .

- " إنك تمتلكين نصيبا محترما ، وكانت هذه منتهى البراعة منك ، لأن الأسهم لا تخرج عن نطاق العائلة . واود لو اعرف كيف توصلت لمعرفة ان الأسهم ستطرح في السوق . "

وعبست قائلة :

- " لست أتذكر انني اشتريت اي شيء من هذا القبيل " .

- " كيف ، لقد تم هذا من فترة وجيزة . الأسبوع الماضي . لقد أرسلت لي مذكرة لشراء خمسة الاف سهم ، مع اسم السمسار الذي ساشتري منه " .

ووجمت ، ويدها تكاد تسقط السماعة لما انتابها من عرق وهي تتصور مبلغ الشراء وشعرت بالغثيان ، "دانيال" ! من غيره على درجة من الثراء ليقدم لها هذه الهدية المقززة ؟ !

وغمغمت شيئا وانهت المكالمة . لم تكن قادرة على ان تشرح لسمسارها أن عشيقها السابق هو مصدر الاستثمار الضخم ، وانه صورة من الرد قصد به الإذلال . "لم تعودي مرحباً بك ، ولكن لا باس لك من بعض الفتات على مائدتي".

واستشاطت غضبا ، وودت لوتلقي بهذه الأسهم في وجه "دانيال" ، ومن جهة اخرى ، ودت لو تبني بها امبراطورية تمكنها من ان تشتري منه مصرفه ، وتمرغ كرامته في الوحل ، واحيانا تتصور انها سوف تصاب بالجنون .

وكانت الزيارة للطبيب قد هدات من نفسيتها بعض الشيء . لقد قال لها انها تحمل نوعا اخر من هدايا "دانيال" ، وهو يؤنبها لكونها اساءت تشخيص حالتها ، ويكتب لها ما تحتاجه من مقويات ،

ويزودها باللازم من النصائح .

قال إنه ذو ثلاثة اشهر ونصف ، ولولا الصدمة لصححت له معلومته ، ثلاثة اشهر ، وثلاثة اسابيع ويوم واحد . أول لقاء بينهما، لم تكن فيه مستعدة لتلافي تلك النتيجة .

ولم يصبها ما اصاب اصدقاءها من صدمة لهذا النبأ ، باعتبارها وحيدة ، مهجورة من حبيبها ، وعلى بداية مستقبل وظيفي مرموق . فلأول مرة في حياتها سيكون لها احد خالص لها تحبه . نواة تتشكل حول حياتها الجديدة التي تبنيها لنفسها ، شخص يحبها بقدر ما في قلبها من حب بلا حدود له .. أولها . ومنه تستمد معنى لحياتها . وهي على الأقل لن تعاني مشاكل مادية بفضل أسهم "كوين كورب" . إنها ستضعها في مؤسسة مالية باسم وليدها ، ابن "دانيال" . ابنهما معا إنه قد يتزوج "كلاريسا" ، وما لها من ارتباطات ، ويكون لها العديد من ورثة آل "بيشوب" الشرعيين ولكن سيظل لها هي ثمرة الحب الخالص ، وستمنحه الحب الذي لم يتح لها أن تعطيه والده .

وكانت هذه هي افكارها ، إلى أن جاءتها الدعوة الثانية ، صباح موعد الاجتماع السنوي ، فكانت القشة الأخيرة .

وعرفت من منظر المظروف انها دعوة ، ومن ظهره انها جاءت من آل "بيشوب" ، واخذ قلبها يدق بعنف وهي تستخرج البطاقة .

وحملقت مصدومة إلى الغلاف المزين لدعوة الزفاف . وفتحته كما لو كان يحتوي على قنبلة وبالكاد قرأت السطور الأولى : " السيدة "أديليد بيشوب" تتشرف بدعوة "كاثلين كندون" .." قبل أن تهرع للحمام لتذرف دموعها السخينة.

أوه، لم تكن تشك أن "أديليد" مسرورة فلمن كانت فكرة إرسال الدعوة؟ لها.. أم لـ "دانيال" ؟ هل أحست بشيء عن علاقتهما ؟ أهذه هي طريقتها في إظهار انتصارها ؟ لابد أنها كذلك . فهي لا تعتقد أنها فكرة

"دانيال" ، فهو لن يكون بهذه القسوة . لقد حاول رغم كل شيء ، أن يحصل على وقت يضع فيه نهاية سعيدة لعلاقتهما . وكان "تود" قد اخبرها أن كل عشيقاته السابقات ظللن أصدقاء له، ولكن في هذه المرة، لا . هذه المرة ، إنها تغلي لدرجة الجنون . كيف يندفع إلى الزواج بهذه السرعة ؟ إنها لم تجد في تلك المفارقة شيئا يدعو للفكاهة .

إن هذا لكثير . وطوت ما بيدها ، ودسته في مظروفه ، ثم تحولت السيدة المستكينة فجأة ، أمام عيون صديقاتها ، إلى ملاك منتقم .

صرخت قائلة :

- " لا يظن انه سيمر بهذا بسهولة " . واندفعت تبحث في دولاب ملابسها في هياج محموم .

وصاحت بها "كولين" ، وهي تشير لـ"فرايا" ، ربما لتستدعي طبيبا نفسيا :

- " ماذا انت فاعلة ؟ إياك أن ترتكبي شيئا احمق يا "كات" . "

- " بالتأكيد كلا ! إنني فقط ذاهبة للقاء والد طفلي ، لأطلب منه أن يقوم بالتزاماته الأبوية . " وتراجعت صديقتاها ، عالمتين انه ما من شيء سيردها ، مادامت استخدمت هذه النبرة القتالية في الحديث .

وسألتها "فرايا" ، وهي توصلها لسيارة الأجرة التي ستضمن لها أن تصل مبكرة عن موعد الاجتماع بوقت طويل :

- " هل انت عالمة تماما ماذا ستفعلين ؟ " .

قالت وهي تضم حقيبتها ، وتشعر بوخز خيانة "دانيال" ، أحرق بطاقة الدعوة:

- " كلا ، ولكني متأكدة من متعة ما سافعله " .

وقالت "كوين" :

- " اطلبينا لو احتجت لمساعدة ، وإذا لم تعودي حتى الثالثة سنبعث فريقا للبحث عنك " .

www.elromancia.com

- " بلغيهم ان يمسحوا قاع الميناء " .

ودب الرعب في نفس "فرايا" : " إنك غير جادة .. " وانفجرت "كاثلين" بالضحك ، وهو ما لم تفعله من عدة أسابيع .

- " بالتاكيد كلا . إن لدي طفلا افكر فيه . ولكن لا أحد يعرف ماذا سيفعل هو " .

سوف يشتط لاقصى حد ، سيتهمها انها تعمدت أن تحمل لتتحكم فيه . سوف يسالها دليلا على نسبه له . وأغلقت ذهنها عن اخر لقاء لهما ، حين اخبرها بحبه بذلك الأسلوب البارد الحريص الذي كان ادعى لعدم التصديق . وانها لغنية عن هذا النوع من الحب المتخفي . اللعنة ، إنها تبكي ، وسوف تجعله يتالم بقدر ما سبب لها من آلام .

وعرفها موظف الأمن ، وحياها بمرح وابتسمت له بوجوم من تحت خمارها . ربما يكون هو من سيلقيها خارجا بعد عدة دقائق .

وكانت السكرتيرة اقل ترحيبا :

- " يؤسفني ان السيد "بيشوب" مشغول الآن " .

وقالت لها بعذوبة ، عالمة بكذب قولها :

- " انا متاكدة انه سيفسح لي دقائق من وقته " .

- " أسفة . إن هناك اجتماعا وشيكا لـ"كورين كورب" ، والسيد "بيشوب" في مجلس الإدارة كما تعلمين " . ولم تكن تعلم ، ولكنها لم تدهش . " بل هو رئيس مجلس الإدارة في الواقع ، وأخشى ان يكون مشغولا إلى ... الأنسة "كندون" .."

وكانت تتكلم إلى ظهر "كاثلين" . إنها لم تتجشم كل هذا ليحال بينها وبين اقتحام عرين الأسد في آخر لحظة .

وقالت الفتاة وهي تلهث وراءها :

- " سيدة "كندون" . "كاثلين" . لايمكن .. "

وحين دفعت "كات" الباب بعنف ، خاطبت الجالس إلى المكتب :

- " آسفة يا سيد "بيشوب" ، لم أتمكن من إيقافها " .

وغمغم "دانيال" باسى :

- " قليل جدا من يمكنهم ذلك " ثم رجع بظهره في كرسيه ، مضيقا من عينيه: "إنك مبكرة يا "كاثلين" . كان المفترض أن تحتفظي بالساعة".

وكان يقصد الساعة الذهبية التي اهداها لها في عيد ميلادها ، فاعادتها له غاضبة .

وتجاهلته ، مركزة انتباهها على الشخصين الجالسين إلى مكتب "ريجنالدبين" . إذن فـ"كوين كورب" شركة " ريجنالدبين" ! وازدادت سرورا بذلك . وبدا في ناظريها رجلا عجوزا متعاليا صهراً مناسبا تماما لـ"دانيال بيشوب" . اما "كلاريسا" ، والتي وقفت في رشاقة حين اقتحمت عليهم مجلسهم ، فكانت تبدو هادئة تماما ، يشرق وجهها بالابتسام . ولاعجب ، فهي وقد نالت ما تتمنى ، لا سبب لان تبدو الأنسة الحزينة .

وابتسمت لها "كاثلين" ردا عليها ، ثم استدارت لتواجه فريستها .

وقالت في صوت حلو الجرس :

- " أريد أن أتحدث إليك في أمر عاجل يا "دانيال" " وراته يضيق من عينيه وهو يتذكر انها تستخدم نفس عبارة "كلاريسا" ليلة أن فاجاتهما بالشقة اما نبرة صوتها ، فكانت مختلفة . كانت تحمل تهديدا مختفيا وراء طلاوتها .

وقال "ريجنالد" في صبر نافذ :

- " "دانيال" ... " . وشدت "كاثلين" قوامها استعداداً لأول مناوشة .

- " بالتاكيد يا "كاثلين" . "ريجنالد" ، "كلاريسا" .. ساراكما في الطابق السفلي بعد قليل " . هكذا صرف "دانيال" مستمعيه بمجرد طلب هو أقرب للأمر . ولم يبد على "كلاريسا" إلا مجرد السرور ، وهو ما رفع من ثورة غضب "كات" درجة اخرى . ورات "دانيال" ينظر لساعة معصمه .

www.elromancia.com

الفضية الرخيصة الثمن . اين ياترى الساعة الذهبية ؟ .

وانصرف "ريجنالد" مدمدما ، ورمى "كات" بنظرة شك من تحت حاجبيه الكثيفين ، وتبعته ابنته بابتسامتها المشرقة ، التي هي اشبه بملح يوضع على جرح يدمي . واغلق الباب عليهما ، وخيم الصمت .

- " حسنا "كاثلين" ؟ "

وحمدت الله على القناع الذي يخفي نظرات الجوع في عينيها ، وتمنت ان يحترق القناع من لهيب نظراتها . ولم يكن "دانيال" متحفظا، بل متمالكا نفسه فقط . وتمنت لو تاخذ عنه شيئا من هذا التحكم . ولكن غضبها كان يتجاوز حذرها ، وعزة نفسها اكبر من ان تؤخذ بهالة القوة التي يحيط بها نفسه . إنها امراة ناجحة فيما يختص بحقوقها ، وند له في كل ما تتطلبه هذه الندية .

- " تصيغان عقد الزواج ، ام ان هذا قد تم منذ مدة ؟ " .

- " من المستحسن ان تجلسي " واشار لها إلى الكرسي الذي كانت خطيبته تشغله منذ دقائق .

- " هذا رداء رائع يا عزيزتي . هل ارتديته خصيصا للتاثير علي بمدى ثقتك بنفسك ؟ " .

واهاجها هذا التقريظ بقدر ما فعلت نبرة صوته المتناغمة :

- " كلا . إن هذا هو زي العمل بالنسبة لي " .

وغمغم قائلا :

- " رداء من اجل النجاح . لقد سمعت انك حققت نجاحا ملموسا في دنيا المال " .

وقالت محتدة :

- " لقد حققت ذلك وليس ورائي ميراث ضخم اعتمد عليه ، او مؤسسة ذات اسم عريض . انظر خلفك يا"دانيال" ، فربما لا تكون امنا بالصورة التي تتصورها " .

- " اتريدين إرهابي يا"كاثلين" .. إذا اردت تسديد سهم لي ، فلن احرك إصبعا لامنعك " .

ونظر إليها محملقا في شك لعدة ثوان : " هل جئت لتطلبي مني استرداد تلك الأسهم ؟ " .

- " لو كنت تعتقد ذلك ، فسوف تصاب بخيبة امل ، لقد جاءت في موعدها تماما " .

وبدا القلق على وجهه :

- " وماذا في ذهنك الآن ؟ " .

- " في ذهني ؟ ماذا تقصد بالضبط ؟ " . وبدات اعصابها تتهيج ، وسرها ذلك الشعور ، فهي لم تشعر بهذه الحيوية داخلها منذ افترقت عن "دانيال" .

- " اقصد ، انك لا يمكن ان تتخلى عني بسهولة . فماذا سوف تفعلين بالأسهم ؟ ستطرحينها في السوق بسعر زهيد ؟ ام لديك انتقام اخر يجول في ذهنك ؟ " . فردت عليه متغنجة :

- " اوه ، هذا موضوع شخصي يا"دانيال" " ثم وضعت ساقا فوق الأخرى ، ورات عينيه تلتهم ما بدا منها وهي تفعل ذلك ، فاعادت تبديل وضعيهما حتى ادركت انها حققت الاثر المطلوب ، ورات الرغبة في عينيه الداكنتين .

وسالها بصوت أجش :

- " هل سيفيد شيئا ان القي بنفسي تحت رحمتك ؟ " وبدا عليه نفس الجوع الذي احست هي به منذ دقائق . وابتلعت مقاومة الرغبة في ان تقفز عبر المكتب إلى "دانيال" الذي عرفته ، والذي احبته .. الفنان ، والعاشق الولهان والرجل الذي يتجاوز كل خيال .

وقالت وهي تخمد وجيب قلبها :

- " بعد كل ما فعلت ؟ " .

www.elromancia.com

- إنك أنت من ابتعدت . انت من لم تحاول ان تتجاوز الخلافات " .

- " وهذا ما تسميه بالتجاوز ؟ " واستخرجت المظروف من حقيبتها، وقذفت به على المكتب أمامه . : " إنك لم تنتظر طويلا ، بعد تنبؤك بان يدوم الحب بيننا" .

- "ما هذا ؟ " والتقطه بتحير بريء جعل "كاثلين" على وشك الانفجار.

- " دعوة لحضور الزفاف " .

وابتسم ! نعم ، لقد ابتسم !

- " هل وصلتك واحدة انت ايضا ؟ متي ؟ هذا الصباح ؟ " .

- نعم ، هذا الصباح ، فكرة امك على ما اظن ، رغم اني اتوقع انها لاتظن اني ساحضر . نوع من القسوة التي تميزكم معشر ال "بيشوب".

ونهض ، وقد بدا اخيرا على وجهه جزء ضئيل من الغضب الذي ارتسم على وجهها من البداية .

-"إنها في الواقع فكرة "شارون" . وارسلتها لك معتبرة انك صديقة".

- " للاسرة ؟ " . ووقفت ، بينما غاص قلبها . اوه ، كلا ، ليس الفرسان مرة اخرى ، يثيرون زوبعة بتدخلهم . كيف يفعلون ، وهم يعرفون شعورها ؟ يعرفون صراعها لتعيد النظام لحياتها . " إنها نكتة! اتظن بالفعل انني مناسبة للحضور ؟ "

-"ما هذا يا"كاثلين" ؟ أهو نوع من الحقد ؟ كنت اظنك مسرورة لذلك؟".

- " مسرورة ؟ مسرورة ؟ " وغرزت اظافرها في كف يدها ، وتصلب عمودها الفقاري من شدة الالم والغضب : " اتدري ما الذي يسرني ؟ أن احضر زفافك، وامرغ سمعتك وسمعة كل ال "بيشوب" في الطين ، فلا تقربك "كلاريسا" بعد ذلك "

وبينما هي في نوبة غضبها ، دار حول المكتب مقتربا منها ، وامسك بيديها اللتين حاولت ان تضربه بهما .

- " والآن ، دقيقة واحدة يا"كاثلين" ؟ " .

- " ابتعد عني ايها الخنزير . اتظن انني لا استطيع ان افعل ذلك ؟ " .

وانهمرت دموعها ساخنة .

- " اهدئي يا "كاثلين" . " وامسك بها بصعوبة وهي تصارع للتخلص منه .

- " اهدأ ؟ . آه ، نعم . سهل عليك ان تقول ذلك . لست انت من تحمل الطفل ! " .

وتراجع ، واصطدمت يده وهو يستند بها إلى المكتب بجهاز التليفون ، فاوقعه ارضا وسط الصمت المخيم .

وهرعت إليه السكرتيرة :

- " سيد "بيشوب" ، هل كل شيء على ما يرام ؟ " .

كانت عينا "دانيال" تطلق الصواعق تجاه "كاثلين" ، وتمسح جسدها من وجهها إلى بطنها .

وقال بصوت مبحوح :

- " إنك تكذبين ؟ " .

وعادت السكرتيرة تقول ، وقد تجمدت مكانها لرؤية وجه مخدومها الشاحب :

- " سيد "بيشوب" ، هل انت بخير ؟ " .

- " ماذا ؟ " . ونظر إليها ببلاهة " نعم ، نعم .. " ولوح لها بضيق ليصرفها . وحينما لم تفعل ، دفعها للخارج ، واوصد الباب . وعاد ليسال "كاثلين" : " هل انت حامل ؟ " .

- " نعم " ومالت راسها في تحد لم تعد تشعر به .

- " كم ؟ "

- " كثير " ، ثم قالت محتدة : " ولن اتخلص منه يا"دانيال" . " ونظر إليها كما لو كانت قد خبت :

- " كنت قاتلك لو فعلت " . وعاد الدم يتدفق لوجهه ، والعنف في

www.elromancia.com

عينيه اقنع "كاثلين" بانه كان سيفعل . وتحركت في عصبية تحت نيران النظرة الوحشية :

- " لقد حدث في اول لقاء ، اليس كذلك ؟ " .

ولم يكن هكذا ما تصورت ان تسير الامور ، كان المفترض ان يكون ثائرا لهذا، التعقيد في الامور ، اما الزهو فكان المفروض ان يكون من نصيبها هي .

وقالت بلهجة لاذعة :

- " بالتاكيد ستطلب إثباتا " .

ورد بهدوء :

- " انت هنا ، وهذا إثبات كاف لي " .

وشعرت بالذنب لهذه الثقة . وقالت هازئة :

- " وماذا تنوي ان تفعل بهذا الإثبات يا "دانيال" " .

قال ، كانه دهش لسذاجة سؤالها :

- " سوف اتزوجك بالتاكيد " .

قالت والغضب قد تملكها :

- " لن اتزوجك ولو كنت اخر رجل في العالم " .

ورد بتجهم :

- " بالنسبة لك ، انا كذلك فعلا . ولن تتزوجي اي إنسان اخر يا"كاثلين" ، مادام هناك نفس يتردد في صدري . ماذا كنت تتوقعين مني ! اعرض شيئا اقل من ذلك ؟ "

وارتعدت فرائصها، لقد كان مجيئها لمقابلة "دانيال" خطا من البداية:

- " إن لك إحساسا عجيبا بالشرف يا"دانيال" ، ولست ارى اي شيء يشرفني في الاقتران برجل ارسل دعوة لحضور زفافه على امراة اخرى من فترة وجيزة . هل نظرتك للوريث الشرعي هي نفس نظرتك لصفقات التجارة ؟ كم هو مؤسف الا يكون في استطاعتك الزواج منا معا ،

فتفوز بالفرصتين معاً".

وانتفض "دانيال" ، وطرفت جفونها للصوت ، ولكنه اتجه للمكتب ، لياخذ الدعوة المقوتة ويدفع بها إليها ، واخرج الدعوة وقال :

- " اقرئي ! " .

- " لست ... "

- " اقرئي ، عليك اللعنة ولوح بالحرف المذهب كما لو كان سيقطع رقبتها به، فتناولتها واخذت تقرا باشمئزاز ، ثم تجمدت .

- " "شارون" ؟ ! " .

- " "وستيفان" . و"شارون" هي من نظمت كل هذا . حتى "اديليد" لم تعرف إلا صباح اليوم ، ورات "شارون" الا تخبرها إلا بعد ان قضي الأمر . وقالت إنها ارادت ان تفاجئ الجميع ، واعتقد انها نجحت في ذلك باكثر مما توقعت".

- " لست ... لست ادري ماذا اقول " .

ورفع حاجبيه ، وضم ذراعيه إلى صدره ترقبا ، و"كاثلين" تحاول ان تتمثل كل مضامين سوء التفاهم الذي حدث ، وتبحث عن تفسير مناسب . وتقدم منها ، ونزع عنها القبعة والقاها جانبا ، وقال :

- " لا اريد ان يفوتني رؤية وجهك حين تطلبين العفو " . ثم استطرد، مسرورا بما اكتشفه : " لقد افتقدتني " .

واحمر وجهها ، وحملقت إليه :

- " انا لن اطلب العفو ، لقد ... ارتكبت خطا " .

ووافقها في رضا غاضب :

- " بل العديد من الاخطاء . اولا ، افتراضك انني تسرعت في طلبي الزواج منك ، كرد فعل متعجل " . وفتحت فمها ، فاغلقه بنظرة منه : " ثانيا اعتقادك انني لا اريد الطفل ، ثالثا قدومك لمجادلتي الآن ، بدون انتظار انتهاء جلسة "كوين كورب" " .

www.elromancia.com

وسالت ببلادة :

- " وما دخل هذا باي شيء ؟ " .

- " لان "ريجنالد" على وشك ان يعين ابنته في مجلس الإدارة " .

وقالت في وهن ، وهي لا ترى بعد علاقة ذلك بامرها :

- " "كلاريسا" ؟ . "

- " هي ، ولا غيرها ، تمهيدا لأن تحل محله إذا حققت نجاحا ، ويتمكن هو من التقاعد " .

وقالت بصوت حاد :

- " "كلاريسا" ؟ . "

- " إنك تستمعين الآن ؟ " ودفعته إنسانيته لأن يطيل عذابها بصمته فترة ، لترى بنفسها مدى غبائها حين رفضت الاستماع له " إن هذا ما تنشده دائما مكان في دنيا الأعمال . ولكن والدها كان رجعي الآراء بالنسبة للنساء " .

- " "كوالدك" ، و"اديليد" " .

- " نعم ، وكنت أرى الإحباط على وجه "كلاريسا" ، أن تضطر للإقتناع بالدور النسائي بينما هي تطمع فيما هو أكثر . كانت سعيدة بزواجي ، ولكنها كانت تريد مني أن أساندها في إقناع والدها أنها جديرة بنفس الحقوق التي كان سيعطيها لابن له . كانت تريد ، كما قلت عني ، اقتناص الفرصتين . المنزل ، والأسرة ، والمستقبل المشرق في دنيا الأعمال . وكانت احتياجاتنا متشابكة بصورة كاملة . إن "كلاريسا" لم تحصل على مؤهلات رسمية في دنيا الأعمال ، ولكنها شبت تساعد في أعمال والدها ، وكان لديها من الذكاء والتصميم أن تقوم بدراسات بمعرفتها ، والشيء الوحيد الذي ينقصها الآن ، هو أن تثبت كفاءتها ، وأن تتجرد من قلبها حين حاولت التنصل من اتفاقنا . وطلبت مني أن أظل متمسكا بالاتفاق حتى تقف "كوين كورب" على

قدميها . وكانت السرية أمراً غاية في الأهمية ، وكان هذا أقل ما أقدمه لها ، بعد الوعود الأخرى التي لم أكن مستطيعا الوفاء بها .

تعلمين أنني كنت أنوي الزواج من "كلاريسا" ، لولا ظهورك . كان يمكننا أن نتوافق جيدا ، وكانت لدي شكوكي إلى أن أسرت إلي بطموحاتها ، وعندئذ فكرت .. "

- " تكون لها الفارس المنقذ الذي لم تستطع أن تكنه لأمك " .

وابتسم في تأثر :

- " شيء من هذا القبيل . لم أدرك ماذا كنت سأفقده حتى كانت المؤامرة الثلاثية " . واقترب منها ، يستنشق من عبيرها ، ثم يرفع خصلة نازلة على جبينها ، ثم قال بصوت أجش : " لست أحب شعرك هكذا ... " وأخذ يفك تصفيفه وهو لايزال ممغنطاً لها بصوته : " بعد "إلزا" ، اعتقدت أنني أخذت كفايتي من الحب العاطفي ، ومن فورات الشباب، حتى انطلقت أنت في سمائي كالشهاب . وأردت أن تكوني لي، لا يهمني كيف ، ولا من أضحي به في سبيل ذلك . وقد تصورت أن علاقتنا ستؤدي إلى خفوت الرغبة تجاهك " . وانسدل شعرها على كتفيها ، وخلله بأصابعه وهو يتامل جمال وجهها : " ولكن الأمر سار على النقيض ، فقد وقعت في الشرك الذي نصبته " .

لقد حاولت أن أعطيك فرصة لتفهميني ، ولكني بعدم صبري حاولت أن أدفع بالأمور أسرع ، لم تكن كذبة يا "كات" ، أنني أحبك ، وأرجوك لا ترفضي هذه المرة " .

- " لست أعرف ماذا تطلب ؟ " .

- " أن تتزوجيني " .

- " بسبب الأطفال الذين ستنجبهم . لأنك جزء مني حقيقة .... "

ورمشت عينا السيدة "كولتر" ، سكرتيرة "دانيال" ، وهما يمران بمكتبها . إنها لم تر في حياتها رجلا في قوة شخصية رب العمل

الذي تعمل لديه ، ولكنها تكاد تقسم انها راته يحمر خجلا هذه المرة .
كان يضحك ايضا ، ولكن عينيه كانتا تشعان شوقا ورغبة ، شعرت تجاههما بغيرة جامحة حينما فهمت مغزاهما . ولكنها استدارت لآلتها الكاتبة راضية ، فهو سيعود إلى دماثة اخلاقه كما كان .
وتساءلت ، متى ستسمع عن الخبر السعيد .

(تمت بحمد الله)

www.elromancia.com
مـــر مـــوريـــة